مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 134) 2025, pp. 1015-1039

من المسالك المنهجية في التحليل النحويّ عند ركن الدين الجرجانيّ (730هـ) التنبيهات أنموذجًا

أ.م. د. أسماء عبد الباقي محمد الموصلي
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
asmaa1977@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
يُعدُّ النحو العربي وسيلةً لتقويم اللسان، ومعرفة روابط الكلم، ومعينًا لتكوين السليقة اللغوية، ورقيبًا على ما يتفوَّه به المتكلم، أو يكتبه الكاتب وقد بذل العلماء من أجل بنائه وتكوينه جهودًا مضنيةً حتى وصل إلينا علمًا ثابتًا دقيقًا في تحليله للنصوص، واستنباطه للأحكام سائرًا على خطى متوازنة بين التراكيب والدلالات، فنشط العمل في التأليف النحوي ، واتخذ مسارات متنوعة ومتعددة هدفها تعليم الطلبة، والناشئة هذا الفن معتمدين في ذلك على طرق عدة في شروحاتهم ، غايتهم تحقيق الفهم والإفهام لها، وقد اتصف التأليف النحوي بمسالك منهجية علمية منها: التنبيهات النحوية التي سادت في أغلب مصنفاتهم ؛ وذلك لاجتذاب ذهن المتعلمين، أو ربما جاءت على شكل استدراكات وإضاءات عند شرحهم للمسائل النحوية ، إذ بدأت عندهم منذ وقت مبكر ثم نشطت، وازدهرت عند المتأخرين من النحويين أمثال الجرجاني.

الكلمات المفتاحية: الفكر النحويَّ، التنبيهات، التحليل النحويَّ، الجرجانيَّ، ابن الحاجب

المقدمة:

كان النحو العربي وما يزال لونًا من ألوان النشاط الذهني الذي فرضته طبيعة الحياة، وتطور المجتمع ولاسيما حينما أحس العرب في منتصف القرن الأول الهجري بخطر يهدد لغتهم؛ بسبب ما نشأ من اللحن على ألسنة الأعاجم، والموالي الذين دخلوا الإسلام بعد الفتوحات الكبيرة في بقاع الأرض عند قراءتهم للقرآن الكريم، ممّا دفعهم إلى وضع مصنفات علمية وتعليمية حفظت لنا هذا التراث الغني بعلومه وعلمائه، وكان النحو العربي أهم تلك العلوم غزارة في النتاجات العلمية، والمصنفات المعرفية، نسج فيها النحويون قواعدهم المتينة البناء، وفكرهم المعطاء، وتحليلهم البنَّاء، وبداعة تنظيمهم وتصنيفهم للمسائل على حدّ سواء، وتعاقبت الأجيال إلى أن ظهر العالم الجليل ركن الدين الجرجانيّ في القرن الثامن الهجري(730هـ) الذي انبرى في شرح (الوافية في نظم الكافية)، فبعد أن كانت نصًا نثريًا وسم بـ (كافية ابن الحاجب المعروفة بـ متن الكافية) اقترح عليه أحد تلامذته أن ينظمها؛ كي يعظم بها النفع، وتتحقق بها الفائدة للطلبة وأهل العلم، فهبَّ الجرجاني إلى ذلك النظم وقام بشرحه كاشفًا عن أوجه الحكمة في تراكيب العربية وبنائها ، واختار أن يوسم الكتاب بـ (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية)، وقد اِختار لهذا المنحى التصنيفي الذي اتخذ من بيان سرّ تراكيب العربية وإظهار حكمتها منطلقًا له، عاكفًا على سبر أغوارها، وشرح مبانيها، وتعليل أصولها، مضيفًا إليها أقوال النحاة ممن سبقوه، مشفوعةً بمجموعة كبيرة من الشواهد العربية على اختلاف أنواعها، وتنبيهات دقيقة مبتكرة ، سائرًا فيها على منهج واضح المعالم يحمل سمات وخصائص محددة ضمن قواعد ثابتة يقوم فيها بشرح القاعدة التي أقرَّ بها ابن الحاجب(646هـ) فيبينها، ويوضحها ثم يأتي إليها من طريق آخر لتقريرها بمزيد من التحليل، وتحقيق القول فيها، وتنقيحها وإمعانا منه في تبيين القاعدة وترسيخها من وجوه عدة، اعتمد في ذلك على مجموعة من المسالك المنهجية التي انتظمت في فكره النحويّ منها: التنبيهات التي كان يختم بها تحليل المسألة النحوية .

مشكلة البحث:

1.اعتمدت الدراسة على تبين أهمية التنبهات النحوية وما سار على منوالها كمسلكٍ منهجي تصنيفي إجرائي واكب المصنفات النحوية منذ بداياتها، ثم ازدهر وانتعش عند المتأخرين من النحويين ولاسيما عند ركن الدين الجرجانيّ.

2.كثرت التنبيهات في كتاب سرائر العربية متخذةً أشكالاً، وألفاظًا عدة حرصًا منه على استيفاء الشرح والتوضيح للمسائل النحوية، فأصبحت ملمحًا بارزًا عنده، ولم يكتفِ بلفظ التنبيه فقط، بل اعتمد على مصطلحات وأساليب مختلفة تناولها البحث بالشرح والتحليل.

3.قامت عملية الاختيار في البحث على انتقاء مجموعة معينة من مصطلحات التنبيه منها: بعضها جاء باللفظ الصريح (التنبيه أو التنبيهات)، وبعضها الآخر من المصطلحات الأخرى التي اعتمدها الجرجانيّ بعد الانتهاء من التنبيه، والتي لا تقل أهمية عن سابقتها، بل تعدُّ ذكاءً منه على تنوع الأساليب، والصيغ لدفع الملل عن المتعلم، واعتماد طرق متنوعة في عرض المادة النحوية.

4.لم يعتمد البحث على مواكبة رؤى الجرجانيّ وآرائه النحوية التي فصّل القول فيها عند شرحه لأبيات ابن الحاجب، بل واكب الفكر النحويّ عنده في استدراكاته على الشرح، واعتماده على السبل التعليمية الهادفة إلى تحقيق الفائدة من شرح المادة النحوية.

5.عمد البحث إلى تحليل مختارات من المسائل النحوية التي جاءت بصيغ مختلفة من المصطلحات بعد شرحه، دخل بعضها في باب الخلاف النحويّ بحسب ما جاء فيه الجرجانيّ، وبعضها الآخر تتطلب ذكره استيفاءً للتحليل النحويّ.

الدراسات السابقة:

كتاب سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية يطبع لأول مرة من لدن المكتبة الخيرية للطباعة والنشر، تحقيق: مصطفى محمود أبو السعود، وبعد الجرد والإحصاء وجدت دراسة نوقشت منذ وقت قريب الموسومة بـ (التنبيهات النحوية في كتاب سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية لمحمد بن علي الجرجانيّ (كان حيًا سنة 730 هـ) دراسة وصفية تحليلية)، للطالبة (آية محمود ذياب الخليفاوي)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات، جامعة الأنبار، وبعد الاطلاع عليها أُسجل الفروق الآتية:

1) اهتمت الرسالة بدراسة ما جاء في الكتاب بمصطلح التنبيه فقط ولم تتطرق إلى المصطلحات الأخرى عنده، أما البحث فاعتمد على ما جاء بمصطلح التنبيه وغيره من المصطلحات التي ذكرها الجرجانيّ عند انتهائه من شرح الأبيات، وبعضها الآخر جاء بعد التنبيه نفسه.

2) قُسمت الرسالة على قسمين الأسماء: وكل ما يدخل فيها من: مرفوعات، ومنصوبات، والمجرورات، ومسائل متفرقة، ثم الأفعال ومعاني الحروف، أما البحث فتناول مسألة في المرفوعات، ومثلها في المنصوبات، والمسائل الأخرى كانت في المصطلحات التي لحقت بالتنبيه والتي جاءت بمسميات أخرى عنده.

3) الاختلاف الجليّ والواضح في الطريقة، والعرض، والأسلوب في التحليل، فضلاً عن استخلاص النتائج، مع اعتماد البحث على الانتقائية في الاختيار، بينما احتوت الرسالة إلى الاستيعاب الكامل للتنبيهات.

4) أكد البحث على إبراز جانب مهم من الكتاب وهو: الافتراضية النحوية، فضلاً عن الحوارية التي كانت مبثوثة في أسلوب الشرح عند الجرجانيّ، والذي يعدُّ مسلكًا تعليميًا يعتمد على الاستنتاج، والاستنباط فضلاً عن الاستيعاب الكامل لما يجول في ذهن المتعلم؛ ليقوم الجرجانيّ بدوره على الإجابة عنه بتحليل، واستدراك، وتوجيه، وهذا ما لم تذكره الباحثة في رسالتها.

وما يتعلق بموضوع التنبيهات فقد وجدت مجموعة من الدراسات لباحثين تناولوا التنبيهات عند علماء عدة، وقد اتخذت هذه الدراسات مسالك بحثية متعددة ومتنوعة، منها ما يتعلق بالجانب النحويّ، وبعضها الآخر يتعلق بالجانب الصرفيّ، أو بكليهما ، وهي تختلف عن هذه الدراسة من نواحٍ: تنبهات الجرجانيّ على منظوم شعريّ، أدى إلى اختلاف المنهجية في عرض المسائل، تعدد المصطلحات التي اتخذت طريقًا للتنبيه ولم يكتفِ بذكر مصطلح التنبيه فقط ، ثبّت الجرجاني مذهبه النحويّ، وانفراده بالرأي النحويّ الخاص به ، وأذكر بعض تلك الدراسات منها:

1) تنبهات الأشموني النحوية أصولها وموقعها في الفكر النحويّ دراسة إحصائية وصفية، رحاب عوض السيد عبد الله، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2017.
2) التنبيهات النحوية وتطبيقاتها عند الشربيني (977هـ) في كتابه فتح الخالق المالك في حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك، يوسف كريم عبدون، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، م/1، ع/84، 2020
3) ابن إياز ومنهجه في التنبهات النحوية في الجزء الأول من كتاب المحصول في شرح الأصول، منصور هاشم عجمي، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2020.

خطة البحث:

اتبعتْ هذه الدراسة منهجًا يتفاوت بين الوصف والتحليل إذ عمدتُ إلى جمع المادة، وتصنيفها وتحليلها ، في سبيل تحقيق غاية الدراسة وهي: الكشف عن الفكر النحويَّ للجرجانيَّ ، في مسلكٍ من أهم مسالكه المنهجية في البحث عن أسرار النحو، وسبر أغواره، ألا وهي تنبهاته التي جاءت في كتابه سرائر العربية اقتضتْ طبيعة الموضوع أن يأتي في مقدمة، وإطارين: أحدهما نظري، والآخر تطبيقي، وخاتمة، أما المقدمة: فتحدثتُ فيها عن: التأليف النحويّ ولاسيما عند الجرجانيّ، ثم مشكلة البحث، وتطرقتُ إلى الدراسات السابقة وما احتوته من تشابه واختلاف عن الموضوع، فضلاً عن خطة ومنهج الدراسة، وقد انقسم البحث على قسمين أولهما: الإطار النظري وقد تفرع على فرعين تناولتُ في البدء: الجرجانيّ تلك الشخصية العلمية التي اتسمتْ بالبحث والاستقصاء في القضايا النحوية باحثًا عن دلالات التراكيب والمباني للجمل العربية ضمن القواعد التي استقرتْ في ذهن العرب، ثم تطرقتُ إلى التأليف النحويّ الذي وصل إلينا من هذا التراث الزاخر بالإبداعات، والتفسيرات العلمية التي شكلت النظرية العربية النحوية ، وثانيهما: الإطار التطبيقي، ووسم بـ (التنبيهات في كتاب السرائر) اهتم بإبراز الجانب التحليلي للتنبهات عند الجرجانيّ ، مقسمةً إياه بحسب المصطلحات التي استعملها في الدلالة عليها ما بين : التنبيه أو التنبهات، التتمة، والخاتمة، وتفريع آخر، والتقرير والمحاورة ، انصبت جميعها في تحليل مجموعة من الشواهد الداخلة في الموضوعات النحوية التي جاء بها الجرجانيّ في كتابه، وختمتُ البحث بالنتائج التي توصلتُ إليها، ثم ذيلتُ البحث بذكر الروافد المعرفية التي نهلتُ منها في قائمة الموارد .

الإطار النظري:

أولاً: الجرجاني والتأليف النحوي:

دأب النحويون منذ وقت مبكر على تثبيت وترسيخ القواعد النحوية خدمةً ونصرةً للقرآن الكريم، وانسجامًا مع الواقع اللغوي لدى القبائل العربية التي تتسم لغتهم بالسليقة الفصيحة، فمنذ النصف الأول من القرن الثاني للهجرة نبغ عالم من علماء العربية ـ ألا وهو سيبويه (180هـ) ـ إذ بدأ بقراءة فاحصة ناقدة عميقة لجهود علمائه ، وقد برع في صناعة منجزه الأول فكان الكتاب ممثلاً لعبقرية عربية متميزة استقى معينها الأول من إمام العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ)، ومن ذلك الشعاع العظيم انطلق النحاة يدرسون ويؤلفون ولكل واحد منهم منهجه وسمته التي عُرف بها.

واستمرت هذه الثلة الطيبة من العلماء الأجلاء جيلاً بعد جيل في التأليف، والتصنيف، وسبر أغوار النحو العربي، وضبط قواعده وأحكامه، وأصبح ذلك الزخم الهائل من المصنفات التي تُشكل مصدرًا أساسيًا لا يمكن الاستغناء عنه في أي عملٍ يهدف إلى وصف اللغة العربية، فضلاً عن ذلك عُدَّ مفخرةً من مفاخر العربي، ثم بدأ الرعيل الثالث من النحاة منذ أوائل، أو أواسط القرن الثاني الهجري فأصبح التعليم النحوي عملاً شخصيًا، أو هدفًا ذاتيًا للنحاة سواء أ كان المراد بالتعليم العرب الذين ابتعد بهم الزمان والمكان عن تلقي اللغة ، أم غير العرب (الأعاجم) الذين صارت لديهم حاجة دينية، واجتماعية إلى تعلم لغة الدين والدولة " أي أن ما كان تطوعًا عقيديًا صار حرفة كأية حرفة أخرى في مجتمع تشكلت فيه قيم جديدة هي بالضرورة ليست قيم البداوة و الروح العفوية الخالصة"
(الفكر النحوي عند العرب، 2003، صفحة 18).

انتشرت ظاهرة التأليف عند النحويين على نطاق واسع فعلى الرغم من سعة، وطبيعة المادة العلمية تضمنت أيضًا التفسيرات التي يقدّمها النحاة لهذه المادة فتشكلت النظرية العربية ، ولذلك عُدَّ التأليف ظاهرة اتصال واستجابة لحاجات علمية، وتعليمية، وثقافية فظهرت آليات وأصول في صنعة التأليف اللغوي ، فكلمة التأليف من أكثر الكلمات العربية استعمالاً للدلالة على تكوين النتاج الفكري والفني، وهي تترادف مع كلمة التصنيف التي نشأت مبكرًا مع نشأة كتاب سيبويه (أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري، 2018، صفحة 16)، وقد قسمتْ مصادر التأليف النحوي العربي على قسمين أولهما : التأليف الإبداعي ، وثانيهما : التأليف الوثائقي وهو بدوره ينقسم على قسمين أيضًا يتمثل الأول: بالتأليف الاستشهادي ويسمى أيضًا التعامل الأفقي مع مصادر متعددة فيقوم المؤلف بالاستشهاد، أو اقتباس أجزاء مهمة من مؤلفات كثيرة ، أما النوع الثاني: فهو التأليف النصي المحوري ويسمى التعامل الرأسي مع نص معين، فيقوم النص الجديد القائم على غرض معين وهو الارتباط بالنص الأول سواء أ كان الإفادة منه أم دراسته بالأشكال كلها من شرح، أو تلخيص، أو استدراك وحتى التكملة عليه، ومن ذلك ما قام به النحويون من شروح وتعليقات على المصنفات السابقة لهم (أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري، 2018، صفحة 21).

سلك العالم النحويَّ طريقًا منظمًا في صناعة كتابه وهو ما يسمى (منهج التأليف النحوي) وهو بدوره جاء على أنواع عدة أولها :المنهج الفطري (الوصفي)،ثانيهما: المنهج العقلي الفلسفي أو التعليلي، أما الثالث فهو: المنهج التعليمي إذ تنبه إليه النحاة الأوائل بعد أن تشكل المنهج النحوي، واصطبغ بتعقيدات الفلسفة، ومنطقية التعليلات البنيوية المعتمدة على معيارية الرؤية التقعيدية، وبدورها أثرت على آليات تعليم العربية، ووجدوا أنه من الضروري تيسير النحو على المتعلمين بعدما أحسوا بثقل عبئه عليهم، فألفت مختصرات كثيرة، وشروحات مقتضبة في محاولة منهم إلى إصلاح النحو، وإسقاط ما لا يفيد نطقًا، مما استدعى إلى تكثيف الطرح في الرؤية التراثية، وتطويرها على وفق الأساليب الحديثة في التعليم محاولين تقليل هيمنة المنهج النحوي البنيوي؛ كونه علمًا جدليًا يغرق في التعليلات الفلسفية، ويبتعد عن دلالات الكلام باحثين عن أبنية التراكيب، ودلائل نظمها وغاياتها معًا؛ وذلك عن طريق الجمع بين التركيب والدلالة
(رؤية توظيفية دلالية نحو تأسيس منهجيات حديثة في النحو التعليمي، 2016، صفحة 129).

وبهذا التقسيم اعتمد التأليف على أمرين هما: إما أن يكون ابداعًا لمعانٍ جديدة، أو ابتكارًا لمبانٍ جديدة، وقد أوضح حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن طرق المؤلفين في تصانيفهم، إذ قام بشرحها وتوضيحها بصورة دقيقة مستندًا على النتاج العلمي عند العلماء العرب فقال:" الأول من لهم ملكة تامة ودُربة كافية وتجارب وثيقة وحدس صائب وفهم ثاقب فتصانيفهم عن قوة ونفاذ وسداد رأي فهؤلاء

أحسنوا إلى الناس كما أحسن الله إليهم ومؤلفاتهم لا يستغني عنها أحد ، والثاني: من لهم أذهان ثاقبة وعبارة طلقة طالعوا الكتب فاستخرجوا دُررها وأحسنوا نظمها ومصنفاتهم ينتفع بها المبتدئون والمتوسطون" (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1362هـ، صفحة 38/1).

ومن فرسان العربية الذي دعا إلى ضرورة تيسير النحو على المتعلمين، وألف في أسرار النحو ودلالاته في التراكيب " محمد بن علي بن محمد الجرجاني المولى ركن الدين الإسترابادي الغروي ، نزيل الحلة ، والمعرّب للفصول النصيرية في علم الكلام ، وهو من تلاميذ العلامة الحليَّ، وذكرنا فهرست كتبه بعنوان (فهرست تصانيف المولى ركن الدين نقلاً عن المقاييس" (طبقات أعلام الشيعة (القرن الثامن)، 2009هـ، صفحة 5/ 195)، وهو من رجالات القرن الثامن الهجري ، كان عالمًا فاضلاً متكلمًا جليلاً ، عُرف بسعة علمه، ونفاذ بصيرته (أعيان الشيعة، 1983، صفحة 425/9)، فكان الجرجاني خرّاجًا ولاّجًا معطاءً في علمه ، كثرت تصانيفه وتنوعت فجاءت في فنون عدة في: النحو، والبلاغة، والمنطق، والأصول، والفقه، والتفسير، وعلم الكلام، والأخلاق، والزهد ذكرها بتفصيل محقق الكتاب مصطفى محمود أبو السعود (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 29/1) ،والكتاب الذي بين أيدينا اِختار له مؤلفه اسمًا هو أدل على ما أراد فسماه (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية) شارحًا فيه متن ابن الحاجب الموسوم بـ (كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب المعروف بـ متن الكافية)، إذ قام ابن الحاجب بشرح الكافية شرحًا يسيرًا ومبسطًا وسم بـ (شرح الوافية في نظم الكافية) ،بعد أن نظِمَها شعرًا استجابة لطلب تلاميذه حتى ينتفع بها طلبة العلم كما انتفعوا بأصلها النثري ، جاء الجرجاني فتوسع في شرحها، وأبان عن مكنوناتها، وكشف عن معانيها في كتابه هذا، كاشفًا عن أوجه الحكمة في تراكيب العربية وبنائها (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 30/1)، "أنَّ طريق العلم بها الرَّويَّة والفكرُ، ولطائف مُستقاها العقل، وخصائص معانٍ ينفرد بها قومٌ قد هُدُوا إليها ودُلُّوا عليها ، وكُشف لهم عنها ، ورُفعت الحُجُب بينهم وبينها" (دلائل الإعجاز، 1992، صفحة 7/1).

يُعدُّ النحو العربي وسيلة لإقامة اللسان، ومعرفة روابط الكلم، ومعينًا لتكوين السليقة اللغوية، ورقيبًا على ما يتفوَّه به المتكلم أو يكتبه الكاتب، وقد بذل العلماء من أجل بنائه، وتكوينه جهودًا مضنية حتى وصل إلينا علمًا مستقرًا ثابتًا دقيقًا في تحليله للنصوص، واستنباطه للأحكام سائرًا على خطى متوازنة بين التراكيب والدلالات، ومن غير الممكن أن يصل النحو إلى هذه المرحلة المتقدمة في رحلة صقله، وتهذيبه في العصور التي مرَّبها لولا أنه جاء من تفكير عميق، وبني بناءً صحيحًا إذ ينزل التفكير النحوي من النحو سواء أ كان نظمًا أم تراكيبًا منزلة الجهاز العصبي المركزي الرابط للنحو ضابطًا لحركته ينعكس بالقوة، وبالفعل في أي مدخل نحوي كبُر أو صغر ، فيمثل التفكير النحوي القدرة الذهنية الكامنة وراء الأسس المنطقية المؤدية إلى تبويب النحو، والعمل على تقعيده (وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب، 2015، صفحة 21)، يُعرف التفكير النحوي بأنه:" مجموعة من النظريات الفكرية القائمة على أساس تفسير الظواهر النحوية واستنباط النواميس اللغوية الكبرى الحاكمة للنظام النحوي فالتفكير النحوي نظام ذهني متكامل قادر بالضرورة على تفسير النظم النحوية كما يصلح أن يكون جهازًا أو واصفًا للأداء النحوي ومفسرًا للذهنية التي تحكم الأداء على تعدده"
(وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب، 2015، صفحة 23).

وينبغي أن يتصف التفكير العلمي بصواب المنهج، وصواب المعلومة معًا فالبحث في التفكير العلمي لأي علم من علوم الإنسانية هو بحث في منهجيته وفلسفته العامة، والبحث في معيار العلم أساسه الأول: تفيهم، وتوضيح، وتعليم طرق الفكر والنظر بالعبور من قواعد العلم إلى منطلقاته التأسيسية وأسسه المنهجية (التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء ـ التحليل ـ التفسير، 2002، صفحة

25)، فالتنظيم سمة التفكير العلمي السليم ويعتمد هذا التنظيم دائمًا على منهجية صحيحة **(Methodology)** ، وقد تتضافر مجموعة من الخطوات والمسالك التي تتبعها هذه المناهج والمقاربات للوصول إلى الحقائق، وإزالة اللبس والغموض عن كثير من العمليات وتفاعلاتها (منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، 2019، صفحة 12)، ولاسيما عند النحويين فقد أسسوا لمنهجية علمية دقيقة في التصنيف النحوي، إذ يبدأ العالم النحويَّ أولاً: بالتفكير في الظواهر النحوية، ثم يخضعها للمعايير والمقاييس النحوية (الاصول) ليرى مدى موافقتها لتلك المعايير، ثم يدوّن ما وصل إليه من حقائق ونتائج نحوية ، ويطالعنا كتاب سرائر العربية وهو من أوائل الشروح التي كُتبت على منظومة ابن الحاجب فضلاً على أنه سعى وبجهد كبير إلى بيان أسرار العربية عند كل قاعدة، أو تحقيق لقول كاشفًا عن مقاصده ونواياه في الشرح ، معتمدًا على منهجية منظمة في الشرح، والتعليل، والتوضيح عن المقاصد النحوية، هذه المنهجية التي تنم عن تفكير حاد، ورؤية صائبة للقواعد النحوية ومن تلك المسالك التنبيهات التي جاءت متنوعة وكثيرة بين الأبواب النحوية والتي اتخذت صيغ وأساليب متنوعة.

ثانيًا: التنبيهات النحوية:

ارتبط التنبيه بصورة عامة في إحداث التواصل بين المتخاطبين كونه أول مرحلة تنطلق منها العملية التواصلية ،إذ يقوم المتكلم بتهيئة المخاطب واستحضار فكره، ولفت انتباهه حتى يتجاوب معه مما يؤدي إلى نجاح التواصل بينهما "فالتنبيه تركيب لغوي وأسلوب بلاغي من الأساليب الشائعة في كلام العرب أدت الحاجة إلى لفت انتباه المخاطب وتهيئته لسماع الرسالة إلى استنباطه فهو على غرار باقي الأساليب اللغوية يتطلب مراعاة حال المخاطبين ومختلف ظروفهم الاجتماعية والنفسية والثقافية" (الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية ، 2012، صفحة 2) ، التنبيه مصدر نبّه فكل فعل ثلاثي مزيد بتضعيف العين صحيح الآخر كان مصدره على وزن تفعيل (المهذب في علم التصريف، 2013، صفحة 222) كقوله تعالى: "وكلَّم الله موسى تكليمًا" (النساء/164) ،وهو وسيلة لاجتذاب ذهن المتعلم ليفطن إلى ما سيذكره المتكلم من " أمر يوقظ لك السامع ان كان غافلاً لأنك تحب ألا تفوته كلمة من الكلام الذي تقوله" (من مظاهر التنبيه في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، 2012، صفحة 3501)، أما التنبيهات النحوية يُراد بها:" ملاحظات أو توجيهات تهدف إلى توضيح قواعد معينة، والتحذير من الوقوع في أخطاء شائعة، مما يساعد في توثيق الفهم النحويّ" (التنبيهات النحوية في كتاب سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية لمحمد بن على الجرجاني (كان حيًا 730هـ)، 2025، صفحة 22).

حفل السياق بالظواهر الدلالية على مستوى الأدوات، والتراكيب والأساليب؛ لأنه يرشد دائمًا إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة ويُعد من أعظم الدلائل على مراد المتكلم ومن هذا المنطلق دخل التنبيه في مفهوم الكثير من العلوم الإنسانية وجاء عنوانًا لكثير من المصنفات على اختلاف مشاربها ومنها: التنبيه في الفقه الشافعي للإمام أبي إسحاق الشيرازي (476هـ)، وجاء الكتاب مقسمًا على الأبواب الفقهية شارحًا لتلك المسائل باختصار، وورد أيضًا عند علماء المنطق وما وراء الطبيعة في كتاب لُباب الإشارات والتنبيهات للإمام فخر الدين الرازي (606هـ)، وقد عَرَفه البلاغيون فألف محمد بن علي الجرجاني (730هـ) نفسه كتاب الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة قاصدًا إلى تقرير قواعد هذه الصناعة سعيًا منه إلى تحقيقها، منتقدًا أقوال أهل البلاغة وفرسانها، ذاكرًا الكثير من الأوهام التي وقع فيها أعلام البلاغة مبينًا، ومنبهًا إلى ما فيها من خطأ، معقبًا عليها بما يراه صوابًا، سالكًا سبيل الحجاج المقنع حتى نرى رأيه الصائب في النهاية بديهيًا، وقد استعان في توضيح ذلك بالنحو كونه عالمًا من علمائه

(الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، 1997، صفحة 2)، ودخل أسلوب التنبيه أيضًا في علم التفسير إذ نطالع كتاب نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البيسلي التونسي (830هـ)، ونجده كذلك عند الأصوليين أسلوبًا معتمدًا في الدلالة، واستنباط الأحكام الفقهية، وقد عُرف عندهم بدلالة الإيماء، أو التنبيه قال الإمام الغزالي (505هـ)هو: " فهم التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب" (المستصفى من علم الاصول، 1997، صفحة 2/ 189) ،وضابط هذه الدلالة أن يذكر وصف مقترن بحكم في نص من نصوص الشرع الإسلامي ولو لم يكن ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيبًا كقوله تعالى:" والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" (المائدة/ 38)، وكذلك قوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم، إن الفجار لفي جحيم"(الانفطار13-14)، يُفهم منه كون السرقة علة القطع ليس بمنطوق، لكنه يسبق إلى الفهم ،وكذلك الآية الثانية ذُكر النعيم لبرَّهم، وذُكر الجحيم لفجورهم ، فهذه الألفاظ، والأوصاف لو لم تكن علة للحكم لكانت حشوًا لا فائدة فيها بعيدًا عن فصاحة الشرع، ووصفه للكلام في مواضعه

(الدلالات عند الاصوليين دراسة مقارنة، 2007، صفحة 87- 88).

وقد انتشر أسلوب التنبيهات عند النحويين بصورة كبيرة ولاسيما عند المتأخرين منهم، وأصبح فنًا يستعمله النحويّ بطرق متنوعة يُعرف عند مؤرخي النحو بعصر الحواشي، والمتون، والشروح ، ولا يبدو أن هذا الاستعمال، أو الأسلوب في التصنيف ـ أعني التنبيهات ـ صار مصطلحًا نحويًا بقدر ما يبدو أنه صار عُرفًا شائعًا في مناهج التأليف ،والشرح ،والتحشية، والتعليق (التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني دراسة احصائية وصفية تحليلية، 2007، صفحة 42)، فالتنبيهات بهذه الصورة "مسائل مهمة تعرض للمؤلف أو الشارح مما يمكن ادراكه من المباحث المتقدمة للمتأمل ومع ذلك فهي مظنة الغفلة وعد التنبه فيلجأ إلى التنبيه لما ذلك من الأهمية في نظره وخوفه من أن يفوت ذلك قرّاءه من عامة الناس" (تنبيهات الأشموني النحوية أصولها وموقعها في الفكر النحوي دراسة احصائية وصفية، 2017، صفحة 43) ، ويندرج هذا النوع من التأليف النحويّ ضمن الاتجاه التعليمي في النحو العربي غايته الأساسية: تنبيه القارئ على ما قد يكون خطأ، أو استدراكًا، أو إشكالاً علميًا، وأصبح وسيلة من وسائل نقل أفكار المؤلفين، وآرائهم إلى الطلبة، والمتلقين بطريقة مخصوصة غايتها تتبع النصوص النحوية، والتنبيه على ما يتوجب الانتباه عليه فيها ، هذه الخصوصية يحددها المؤلف من منطلق الأهمية التي يرى أنها لا تمر على القارئ فيثيره ،ويجذبه إليها ، ونلحظ أن هذا الأسلوب التأليفي من لدن بعض النحويين يكشف مدى عنايتهم، وحرصهم بالمسائل النحوية المهمة التي تحتاج إلى توضيح، وزيادة في الشرح، وظيفته العمل كأجراس منثورة في كتبهم تجتذب القارئ، وتنبه الغافل وهي بذلك عُدّتُ وسيلة تعليمية تهيء ذهن المتلقي، وتوقده ،وتغرس فيه الدرر من المسائل النحوية (التنبيهات النحوية وتطبيقاتها عند الشربيني (977هـ) في كتابه فتح الخالق المالكفي حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك، 2020، صفحة 219).

وقد عَرَفَ الدرس النحوي القديم التنبيه وبه صنّف ابن جني (392هـ) كتابه الموسوم بـ (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) شارحًا لأبيات أبي تمام من ناحية اللغة ،والنحو، والصرف، والدلالة فكان بمثابة تدريب عملي لطلبة العربية، وإختيار لمدى استيعابهم بما درسوه في حلقات الدرس إذ قال صاحبه:" هذا الكتاب لست اعمله لمبتدئ ولا متوسط وإنما أُخاطب به من قد تدَّرب فكره وقوي نظره وهو الذي يَغْرَى به ويقوى حظّه منه فأمَّا من دون ذلك فيتجافى عنه إلى مسموع يحفظه لتخفَّ عنه كلفته وجشمه" (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، 2009، صفحة 7)، ونفهم من هذا أن التنبيه مجموعة من الاختبارات تقدم لطالب العلم كنوع من المران على ما تعلمه في حلقات الدرس وهو المراد بقوله: (لست اعمله لمبتدئ ولا متوسط)، ثم جعلوا للتنبيه بابًا، وحروفًا خاصة يبدأ الكلام بها

وهي بهذا المفهوم تختلف عن التنبيه عند النحويين المتأخرين فيكون مصطلح التنبيه الذي أطلقه اللغويون على أحرف بعينها (ألا، أما ، ها)، وعلى أساليب معينة (كالنداء، والتحذير، والإغراء، والاستفهام) إنما قصدوا به إعلام المخاطب، واستدعاء ذهنه للالتفات إلى الكلام الذي سيلقى عليه لأهميته لغرض الوقوف عليه ، فالتنبيه بيان الشيء قصدًا بعد سبقه ضمنًا وهو إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطب، وما يُفهم من مجمل ومعنى مما يؤدي إلى إبراز دوره في نجاح العملية التواصلية بين المتخاطبين (من مظاهر التنبيه في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، 2012، صفحة 3498)، وتسمى أيضًا حروف الاستفتاح وهي في حد ذاتها أسلوب بلاغي خطابي يقصد به: تنبيه السامع إلى بدء حديثه مبنيًا على مجموعة من الركائز التي يقتضيها السياق إذ لا يمكن توظيف الحرف، أو استبداله بغيره إلَّا إذا عرفنا ما له من خصائص، ووظائف تظهر كل واحدة منها في سياق معين ويمكن أن تتغير بتغير ذلك السياق.

الإطار التطبيقي:

التنبيهات في كتاب سرائر العربية:

كثر استعمال أسلوب التنبيهات عند ركن الدين الجرجانيّ في كتابه سرائر العربية، فضلاً عن تنوعه في استعمال المصطلحات الدالة عليه، إذ لم يكتفِ بذكر مصطلح التنبيه أو التنبيهات فقط ، إنما استعمل مصطلحات أخرى تطلبها السياق؛ لزيادة فائدة، أو شرحٍ، أو تحقيق رأي في المسائل النحوية، ممّا يدل على نضج، وعمق تفكيره النحويَّ في بناء الجمل، والتراكيب التي تدخل أبواب الفصائل النحوية وهي:" القيم الخلافية المحددة لمباني أقسام الكلم في حال إفرادها أو تركيبها ومنها معاني الإعراب والبناء والجمود والاشتقاق والتعدي واللزوم والعدد والنوع والتعريف والتنكير ... إلى غير ذلك من معانٍ نحوية قديمًا وحديثًا عن تكاملها في بحث مستويات اللغة الشكلية والدلالية فهي تظهر من خلال صيغ الكلمات ووظائفها التركيبية وأنماط تواردها مع غيرها بعلاقات سياقية في بنية الجملة " (من العوارض الموقعية في الفصائل النحوية دراسة تحليلية، 2023، صفحة 4)، وتعدُّ تلك الفصائل إحدى مكونات النظام اللغوي الذي يُعتمد عليه في فهم مقاصد الكلام ، فضلاً عن أمن اللبس بين المعاني الدلالية، أو بين المباني الصرفية وهي غاية لا تُدرك إلَّا في الاستعمال اللغويَّ.

1.التنبيه أو التنبيهات:

ارتبط النحو بالتفكير النحويَّ، بل يُعدُّ قسيمه الأعلى، وحلقة الوصل بينهما ينقسم على قسمين أولهما: الأصول النحوية، وثانيهما: النظريات النحوية؛ كون النحو منجزًا لسانيًا ، والتفكير النحويَّ بما هو تجريد ذهني أعلى يحكم النحو واصوله حكم تفسير، لا حكم إنتاج؛ لأنه مجموعة من النظريات الفكرية القائمة على أسس تفسير الظواهر النحوية، واستنباط النواميس اللغوية الكبرى الحاكمة للنظام النحويَّ ، وهذا النظام الذهني قادر على تفسير النظم النحوية وهو جهاز واصف للأداء النحوي، ومفسرًا للذهنية التي تحكم الأداء على تعدده (وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب، 2015، صفحة 23)، وعندما وصف د. علي أبو المكارم أصول التفكير النحوي بأنها: الخطوط الرئيسة العامة التي سار عليها البحث النحوي، وبدوها أثرت على إنتاج النحاة وفكرهم ،وهذه الخطوط قديمة جدًا في البحث النحويَّ يمكن الرجوع بها إلى البدايات المبكرة لنشأة البحث في النحو العربي أي أواخر القرن الأول، وبداية القرن الثاني ، ثم ميّز بينه، وبين علم أصول النحو الذي يُعدُّ المحاولة المباشرة لدراسة تلك الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحويَّ، وهي محاولة متأخرة لمدة طويلة عن الوجود الواقعي لأصول التفكير النحوي ، وأول من يُشار إليه لتصنيف هذا العمل هو: أبو بكر محمد بن السراج (316هـ) في كتابه أصول النحو (أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري، 2018، صفحة 30)، ثم جاء التأليف النحوي الذي يجمع بين

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 134) 2025, pp. 1015-1039

التفكير النحوي، وأصول النحو وهو ما يقوم به النحاة من جمع وتصنيف للموضوعات والمواد المتعلقة بالنحو العربي ، فعالم النحو يبدأ أولاً: بالتفكير في الظواهر النحوية، ثم يخضعها للمعايير والمقاييس التي يختص بها علم الأصول ، ثم يدّون ما وصل إليه من حقائق، ونتائج نحوية عن طريق المصنفات النحوية. وكل ذلك نراه متجسدًا في كتاب سرائر العربية الذي بين أيدينا ، إذ التزم ركن الدين الجرجانيَّ بمنهج واضح سار عليه من أول الكتاب إلى آخره لم يحد عنه، ولم يغفل عن أي جزئية فقد نصَّ الجرجانيَّ عن منهجه في مقدمة كتابه وذكر:" أنه لمَّا رأى ابن الحاجب قد ذهب في منظومته مذهب التحقيق وسلك فيها مسلك التدقيق ، صرف الهمة إلى سبر أغوارها، وكشف معانيها، وشرح مبانيها، وتعليل أصولها، وتحليل فصولها، مضيفًا إليها أقوال السابقين المحررة بحجج مرضية، وشواهد عربية، وتنبيهات مبتدعة، ونكات عجيبة ـ مما استفاده من المعلّمين ـ واستخرجه من كتب المصنفين" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 1/ 44-45)، وهو بهذا الكلام أثبت أن له إضافات جليلة على كلام ابن الحاجب و تخريجاته التي أبدع بها الجرجانيَّ، وعلى رأسها ما ذكره صراحة (تنبيهات مبتدعة) ؛ كونها واحدة من مجموع رؤى منهجية عكف عليها في شرحه للوافية. انتهج الجرجاني في تنبيهاته طرقًا، ومصطلحات عدة وضّح بموجبها ما جاء في الوافية وهي تعدُّ إملاءات، وتوضيحات للقواعد النحوية التي ثبتها ابن الحاجب مركزًا على إبراز المعاني، مستشهدًا على ذلك بمجموعة كبيرة من الشواهد القرآنية، والأبيات الشعرية، والأقوال النثرية؛ ليحتج بها على ما يقرره من القواعد قاصدًا من وراء ذلك ترسيخ القواعد ،وتحقيق الأقوال، فبعد قول المصنف يأتي دوره كشارحٍ في باب المبتدأ والخبر بأن أصل المبتدأ أن يُبتدأ به ثم يأتي الخبر بعده؛ لأن الخبر كالوصف من جهة الرتبة مؤكدًا على أهميته؛ كونه محمولاً والأول يوضع ثم يُحمل عليه لا أن يحمل ثم يوضح؛ ومن أجل ذلك أجاز قولهم:(في داره زيدُ)، فزيد وإن تأخر لفظًا لكنه متقدم معنى؛ فجاز عود الضمير إليه ، ومنع قولهم: (صاحبها في الدار) ؛ لأن الضمير للدار وهي متأخرة لفظًا ومعنى، فالعامل معنوي يقتضي الرفع في الاسم وهو المبتدأ، وقد ذكر سيبويه(180هـ) في باب المسند والمسند إليه أول كتابه بقوله:" وأعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وهما ما لا يغنى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّا فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه" (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 23/1)، وفي شرحه هذا نجده يذكر مجموعة من القرائن منها: الإسناد، والرتبة، فالعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي كعلاقة الإسناد، تساندها قرينة لفظية: هي الرتبة وهو ما أطلق عليه د. تمام حسان ظاهرة تضافر القرائن (اللغة العربية معناها ومبناها، 2004، صفحة 192)،

ثم جاء بتنبيهٍ إذ يقول: " يجوز تقديم الخبر إذا عَرِي من الموجبات اتساعًا، ومنعه الكوفيون للزوم الإضمار قبل الذكر وليس بشيء لأنه في حكم المتأخر" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 1/ 272)، يقع المبتدأ على قسمين:" مبتدأ له خبر، ومبتدأ له فاعل سدَّ مسد الخبر؛ فمثال الأول: (زيدٌ عاذر من اعتذر) والمراد به: ما لم يكن المبتدأ فيه وصفًا مشتملاً على ما يذكر في القسم الثاني ؛ فزيدُ مبتدأ، وعاذر خبره ومن اعتذر مفعول لعاذر، ومثال الثاني:(أسارٍ ذانِ؟) فالهمزة للاستفهام وسارٍ: مبتدأ وذانِ فاعل سد مسد الخبر، ويقاس على هذا ما كان مثله وهو: كلّ وصف اعتمد على استفهام أو نفي نحو: أ قائمٌ الزيدان؟ وما قائمٌ الزيدان" (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، د.ت، صفحة 1/ 171- 172) ، يأتي المبتدأ على ثلاث أضرب: الأول: واجب التقديم ولا يجوز تأخيره، والثاني: يجب تأخيره ولا يجوز تقديمه، و الثالث يجوز تأخيره توسعًا ومجازًا لأنّ رتبته التقديم (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 170) ، يُعدّ المجاز أحد أهم أبواب التوسع في اللغة، والمصدر الأول في ذلك وهو ما أشار إليه ابن جني(392هـ) في خصائصه حينما قال: "إنما يقع

المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاث وهي: الاتساع، والتوكيد ، والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة" (الخصائص، 1952، صفحة 2/ 442) ، فالمجاز يتصدر بنية الكلام الإنساني، وهو من أهم أدوات الأداء اللغويَّ ومصدرًا لكثافة المعنى، ومنبعًا للعواطف والمشاعر، ووسيلة لتجاوز التصور اللفظي عند أداء المعاني، وفي إدراك المضامين الفعلية للكلم ، أما الاتساع فقد ذكره د. عبد السلام المسدي بأنه: " تصرف في دلالات هياكل اللغة ، أو أشكال ترتيبها بما يخرج عن المألوف بحيث ينتقل الكلام من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية أو الأدبية ويتم ذلك بجدول التوزيع، والاختيار أي العلامات الإستبدالية" (ظاهرة الاتساع في الدرس النحو قراءة في فكر أبي علي الفارسي (ت/ 337هـ)، العدد 63/ 2013، صفحة 6).

وعندما يكون المبتدأ معرفة وخبره ظرفًا نقول: (زيدٌ أمامك أو أمامك زيدٌ)، أو حرف جر(زيدٌ في الدار أو في الدار زيدٌ)، أو نكرة نقول: (زيدٌ قائمٌ أو قائمٌ زيدُ) ، أو جملة (زيدٌ أبوه منطلقٌ أو أبوه منطلقٌ زيدٌ)، إنما جاز تقديم هذه الأخبار على المبتدأ؛ لأنّ تقديمها لا يوقع لبسًا في الكلام، وفيها ضمير يعود على المبتدأ ، والضمير يعود دائمًا على ما قبله لا إلى ما بعده، فلو كانت هذه الأخبار في نية التأخير لما صحّ الكلام (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 171 - 172) ، ويرى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في دلائل إعجازه أن ثمة فروقًا في الاستعمال بين الخبر النكرة ، والخبر المعرفة " فالأول حين يقصد مجرد الحكم على المبتدأ بشيء لم يكن السامع قد علم من أصله أنه كان، والثاني حين يقصد إثبات حكم بعينه معلوم ولكن المحكوم عليه غير معلوم يقول: اعلم أنك إذا قلت (زيدٌ منطلقٌ)كان كلامك مع من لم يعلم أنَّ انطلاقًا كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيده ذلك ابتداءً و إذا قلت (زيدٌ المنطلق) كان كلامك مع من عرف أنَّ انطلاقًا كان إما من زيد وأما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره ، والنكتة أنك تثبت في الأول الذي هو قولك (زيدٌ منطلقٌ) فعلاً لم يعلم السامع من أصله أنه كان، وتثبت في الثاني الذي هو (زيدٌ المنطلق) فعلاً قد علم السامع أنه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك (مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، 1988، صفحة 95).

ومن هذه الجزئية وقع خلاف بين النحويين ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردًا كان أو جملة فالمفرد (قائم زيدٌ، وذاهبٌ عمرو)، والجملة مثل قولهم (أبوه قائم زيد، وأخوه ذاهب عمرو)، وعلتهم في ذلك:" إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردًا كان أو جملة لأنه يؤدّي إلى أن تَقَدُّمِ ضميرَ الاسم على ظاهره، ألا ترى أنك إذا قلت: "قائم زيد" كان في قائم ضمير زيد؟ وكذلك إذا قلت "أبوه قائم زيد" كانت الهاء في أبوه ضمير زيد؛ فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره؛ فوجب أن لا يجوز تقديمُهُ عليه"، وقد ذهب البصريون إلى جواز التقديم بقولهم:" إنما جوّزنا ذلك لأنه قد جاء كثيرًا في كلام العرب وأشعارهم؛ فأما ما جاء من ذلك في كلامهم فقولهم في المثل "في بيته يُؤْتَى الحكم" وقولهم "في أكفانه لُفّ الميت" و "مَشْنُوءٌ من يَشْنَؤُكَ" وحكى سيبويه "تميميٌّ أنا" فقد تقدم الضمير في هذه المواضع كلها على الظاهر؛ لأن التقدير فيها: الحَكَمُ يُؤْتَى في بيته، والميت لف في أكفانه، ومن يَشْنَؤكَ مَشْنُوء، وأنا تميميٌّ" (الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، 2003، صفحة 1 / 56)، وما بين إجماع البصريين على جواز التقديم، ومنعه عند الكوفيين نجد بعض علمائهم من يجيز تقديم خبر المبتدأ في قولهم (ضربته زيد) كالكسائي(189هـ)، وكذلك الفراء(207هـ) أجاز التقديم إذا كان المبتدأ ضميرًا منفصلاً والخبر اسمًا موصولاً نحو:(أنت الذي يضرب)، والجدير بذكر أن ما منعه الكوفيون لا يعني أنه لم يرد في كلام العرب، ولا أنه غير مستعمل ، إنما المقدم عندهم لا يعرب خبرًا نظرًا للأدلة التي ساقوها في ذلك في تقديم المضمر على الظاهر، وقد ردَّ ابن إياز(681هـ) ذلك ووجد أن تقديم المضمر على الظاهر منه إذا تقدم لفظًا ومعنى نحو: (ضرب غلامه زيدًا) ،فإذا تقدم لفظًا

والنية به التأخير كان جائزًا، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى:" فأوجس في نفسه خيفةً موسى" طه/ 67 ،فالهاء عائدة على موسى وإن كان متأخرًا عنها؛ لأنه في حكم التقديم إذا كان فاعلاً (الخلاف النحوي في كتاب المحصول في شرح الفصول (ابن إياز البغدادي 681هـ)، 2014، صفحة د.ت) ، وهو ما ذهب إليه الجرجانيّ أيضًا ، فالأصل في الجملة الاسمية أن يأتي المبتدأ أولاً ثم يليه الخبر، وقد يختلف ترتيب الجملة فيتقدم الخبر على المبتدأ بين الجواز، والوجوب فيهجر رتبته وهو ما يسمى عن المحدثين الرتبة غير المحفوظة وهي:" الرتب المتغيرة إذ قد تأتي في مكان غير مكانها الأصلي" (مفهوم الرتبة النحوية، م/ 24، ع/17، 2002، صفحة 1)، تتأتى الرتبة غير المحفوظة من التراكيب اللغوية التي لا تختل، فتقديم أي وحدة لغوية عن موقعها، أو تأخيرها لا يؤدي بالضرورة إلى الخروج عن القواعد التركيبية، كرتبة المبتدأ والخبر ، ويمثل التقديم والتأخير في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها ، وتحقيق مرادها، وإصابة غرض المتكلم لتحقيق التواصل بين المتكلم والمخاطب (قواعد الرتبة في اللسان العربيفي ضوء النظرية التوليدية التحويلية، 2010، صفحة 73) .

ومن التنبيهات التي جاءت في منصوبات الأسماء باب المفعول معه ، بعد أن قام الجرجانيَّ بشرح كلام ابن الحاجب جاء بمجموعة من التنبيهات التي تناولت التفصيلات الجزئية للمفعول معه في غير ما ذكره من كلام ابن الحاجب ، أشار في أولها إلى نوع المنصوب فقال:" زعم الكوفيون أنّ المنصوب ههنا منصوب على الخلاف ، على معنى أنه لا يشارك معمول الفعل في الحكم بل مجرد المصاحبة " (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 1/ 421) ، ذكر سيبويه (180هـ) في كتابه ـ هذا باب ما يظهر فيه الفعل وينتصب فيه الاسم بقوله:" وذلك قولك: ما صنعت وأباك ، ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، إنما أردت: ما صنعت مع أبيك، ولو تركت الناقة مع فصيلها فالفصيل مفعول معه ، والأب كذلك ، والواو لم تغير المعنى ولكنها تُعمل في الاسم ما قبلها" (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 1/ 297)، وفي المسألة خلاف: ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف ، وذهب البصريون إلى أنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو، وكذلك عند سيبويه ؛لأن الواو بمعنى مع فإنهما جميعًا يفيدان الانضمام فأقاموا الواو مقام مع؛ لأنها أخف في اللفظ ، والواو حرف عامل، وغير عامل فالعامل قسمان: جار وناصب ،وهذه الواو بمعنى (مع) هي عند عبد القاهر الجرجانيّ(471هـ) ناصبة للمفعول في نحو(استوى الماءُ والخشبةَ) ، وقد ضعّف المرادي(749هـ) هذا الرأي؛ لأن الواو لو كانت عاملة لاتصل بها الضمير في نحو:(سرتُ وإياكَ)، والصحيح أن المفعول معه منصوب بما قبل الواو من فعل، أو شبهه بوساطة الواو ، وقد ضعّف المرادي أيضًا ما ذهب إليه الزجاج(310هـ) من البصريين إلى أن ناصبه مضمر بعد الواو تقديره(ما صنعت و أباك) ؛لأن فيه إحالة لباب المفعول معه مع باب المفعول به (الجنى الداني في حروف المعاني، 1992، صفحة 155)، وأما الجواب على كلام الكوفيين فذهبوا إلى إنه: " منصوب على الخلاف؛ لأنه لا يحسن تكرير الفعل، فخالف الثاني الأول فانتصب على الخلاف" قلنا: هذا باطل بالعطف الذي يخالف بين المعنيين نحو قولك: "ما قام زيدٌ لكن عمروٌ، وما مررت بزيدٍ لكن بكرٍ" وما بعد لكن يخالف ما قبلها، وليس بمنصوب، فإن لكن يلزم أن يكون ما بعدها مخالفًا لما قبلها علَى كل حال، سواء لزمت العطف في النفي عندنا أو جاز بها العطف في الإيجاب عندكم؛ فلو كان كما زعمتم لوجب أن لا يكون ما بعدها إلا منصوبًا لمخالفته الأول، وإذا كان الخلاف ليس موجبًا للنصب مع "لكِنْ" وهو حرف لا يكون ما بعده إلا مخالفًا لما قبله فلأن لا يكون موجبًا للنصب مع الواو التي لا يجب أن يكون ما بعدها مخالفًا لما قبلها كان ذلك من طريق الأولى، وكذلك أيضًا يبطل بلا في قولك "قام زيدٌ لا عمروٌ، ومررت بزيدٍ لا عمرو" وما بعد "لا" يخالف ما قبلها كلكن، وليس بمنصوب؛ فدلَّ على أن الخلاف لا يكون موجبًا للنصب"

(الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، 2003، صفحة 1/ 202).
ثم نبّه على مسألة مهمة أخرى بقوله:" لا يتحقق مجيء الواو بمعنى مع من دون مصاحبة معمول الفعل لأن وضع هذه الواو لإفضاء معنى الفعل القاصر إلى المصاحب فلا يتحقق من دون الفعل أو معناه : (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 1/ 423)، ونجده هنا لم يقم بتوضيح معنى المصاحبة بينما قام بتوضيحها في كتابه الآخر (المباحث العربية في شرح الكافية الحاجبية) وهو أسبق بالتأليف من كتاب السرائر، فقد ذكر أنّ المصاحبة تنقسم على قسمين أساسيين هما: المصاحبة في الزمان نحو: جاء البردُ والطيالسةَ ، أو المصاحبة في المكان نحو: لو تُركت الناقةُ وفصيلَها لرضَعَها" واعلم أن الفعل لا يقتضي المصاحب للفاعل ولا المفعول لذلك احتاج إلى حرف يؤدي معناه إليه ، وأولى الحروف به واو العطف لإفادتها الجمع في الحكم ، لكن الجمع في الحكم لا يقتضي المصاحبة الزمانية أو المكانية ، لذلك احتيج إلى نصب المصاحب ليدلَّ عليها، ولهذا السَّر قيل : إنه معدول عن العطف ويمتنع النصب حيث يمتنع العطف نحو: انتظرتُك وطلوعَ الشمس"
(المباحث العربية في شرح الكافية الحجابية، 2024، صفحة 1/ 259).
أكد الجرجانيَّ أيضًا في تنبيه آخر على أنَّ المفعول معه لابدَّ أن يكون لازمًا للفاعل غير متعدٍ خشية الالتباس بالمفعول به " فإذا أردت تعديته إلى المفعول أوصلته بـ (مع) فقلت: مع زيد لأن مع هي للجمع بين شيئين، وإدخال الاسم الذي بعدها وضمّه إلى الاسم الذي قبلها في الحكم الذي دخل عليه، فالاسم الذي بعدها مجرور في اللفظ بإضافتها إليه وهو مرفوع من طريق المعنى بالقيام الذي أسندته إليه.... فهذا هو الأصل ثم توسعت العرب فحذفت (مع) من اللفظ وأقامت ما كان مضافًا مقامها فانتصب انتصابها فجاء اللفظ: (قمت زيدًا ، ذهب زيدُ عمرًا) إلَّا أنّ هذا الفعل لا يتعدى إلى مفعول ، فلما ضعف أن يتعدى إلى المفعول طلبوا حرفًا ينوب عن (مع) في الاشتراك والاجتماع فلم يجدوا إلَّا الواو ؛ لأنها تُشرك ما بعدها وتضمّه إلى ما قبلها وتدخله في حكمه، وتقوي الفعل الذي قبلها وتوصله إلى ما بعدها" (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 297)، نلحظ هنا أنَّ الاتساع الذي جاءت به العربية في استبدال (مع) بالواو جاء لأسباب عدة أولهما: المشاركة بين السابق واللاحق لها، وثانيهما: تقوي الفعل الذي قبلها وتوصله فيما بعدها، ومن هنا فرّق النحويون بين واو المعية ، والواو العاطفة لأنَّ" وضع هذه الواو لإفضاء معنى الفعل القاصر إلى المصاحب فلا يتحقق من دون الفعل أو معناه ... وإن الغرض من النصب بالواو إفادة المقارنة وهي معلومة بالخبر فيكون تحصيلاً للحاصل" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 1/ 423 - 424)، وكذلك لا يجوز العطف على المرفوع المضمر فتقول: (قمتُ وزيدٌ) بالرفع عطفًا على التاء حتى يؤكد ، فإن لم يتم التأكيد فهو جائز في الضرورة الشعرية فقط ، أما في الكلام فلا يحسن ذلك حتى تؤكد وبعد التأكيد كنت بالخيار : إن شئت جعلت الواو عاطفة(قمتُ أنا وزيدُ) ، وإن شئت تصبت بعد الواو لأنَّ الواو بمعنى مع فنقول: (قمتُ أنا وزيدًا) (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 298).

2.التتمة:

انتهج الجرجانيَّ في كتابه طرقًا متعددة لتوضيح القواعد النحوية منها: استعماله لمصطلح (التتمة) وجاء في أكثر من مسألة ، بعد شرحه أبيات ابن الحاجب يأتي بالتنبيهات في بعض الحالات، وبعضها الآخر يستعمل مصطلحات أخرى مساندة للتنبيه، وفي هذه المسألة بعد أن شرح قول ابن الحاجب في النعت ذكر مصطلح (تتمة) منفصلة عمّا سبقها ، وجاءت على شكل حوار بينه وبين عالم آخر يكنى بـ (ابن جعفر) إذ قال:" اتفق النحويون على أنَّ النعت هو المنعوت في المعنى ، وقد تحيّر ابن جعفر ههنا ، وقال" كيف يكون ذلك والنعت مخصصٌ للمنعوت والشيء لا يخصص بنفسه؟!"، ثم قال: " لعلَّ مرادهم أنَّ النعت إنَّما يكون بمعنى موجود في نفس الموصوف أو هو من سببه". قلت مرادهم

بذلك أنهما يدلان على ذات واحدة؛ لأنك إذا قلت:" زيدٌ القائم" فالقائم يدل على ذات هي زيد، وقوله" مخصص والشيء لا يخصص بنفسه" قلت: إنما صار مخصصًا من حيث إن له دلالة على الذات وعلى معنى آخر قائم بها؛ فهو هو من حيث الذات ومخصصٌ من حيث ذلك المعنى، ولأجل الاتحاد في الذات اشترطوا المطابقة في التعريف والتنكير وغيرهما" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 30)، اعتمد الشّراح في مؤلفاتهم أسلوب الحوار القائم على السؤال والجواب لكي يستحث الفكر، وطريقة جديدة للخروج من شكل التلقين المباشر، ويأتي على أشكال عدة منها: ما قام به الجرجانيّ باستحضار عالم ومناقشة آرائه بصورة علمية ، وبعضها الآخر يكون بافتراض طالب له القدرة على الاستنتاج ، والتحليل، والاعتراض وربما الاستدراك أيضًا ، كل ذلك بهدف واحد وهو إعمال عقله، والتفكر في الآراء المقدمة إليه ليناقش ، أو يحاجج، أو يعترض ، ويخطئ ويصّوب ، وأسلوب الحوار هذا يدخل في صلب العملية التعليمية الذي يحرر المعلم من صفة المتلقي السلبي ليصبح أكثر فاعلية، وعطاءً وهو مطلب ما زالت تسعى إليه الأساليب التعلمية الحديثة (دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي (ابن الناظم، والمرادي، ابن هشام، وابن عقيل) نموذجًا، 2002، صفحة 96).

قال ابن جني (392هـ) في باب الوصف:" اعلم أن الوصف لفظ يتبع الاسم تحليةً وتخصيصًا ممن له اسمه، بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه، ولا يكون الوصف إلَّا من فعل، أو راجعا إلى معنى فعل" (شرح اللمع، 2010، صفحة 235) ، ثم استطرد الجرجانيّ بكلامه في توضيح ، أو ردّ قول ابن جعفر(مخصص والشيء لا يخصص بنفسه) بقوله:" إنما صار مخصصًا من حيث إن له دلالة على الذات وعلى معنى آخر قائم بها ؛ فهو هو من حيث الذات ومخصص من حيث ذلك المعنى، و لأجل الاتحاد في الذات اشترطوا المطابقة في التعريف والتنكير وغيرهما" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 30)، أما الغرض الذي تأتي الصفة من أجله فهو على أنواع: توضيح المعارف، أو تخصيص النكرات ، أو للمدح، (الاعلام التي عرض فيها الاشتراك)، أو تخصيص النكرات ، أو الذم، أو الترحم كقولهم: (مررتُ بزيدٍ المسكين البائس)، أو للتوكيد كقوله تعالى: " نفخة واحدة"(الحاقة/ 13) (غاية الأمل في شرح الجمل، 2023، صفحة 1/ 348)، وقد زاد الجرجاني في شرحه فقال:" واعلم أن عدَّهم منها صفة التوضيح وجعلهم لها وجودًا فيه نظر؛ وذلك أن الاسم على الاطلاق إمَّا أن يكون فيه شركة بالنسبة إلى المخاطب وإن لم يكن بالنسبة إلى المتكلم أو لا؛ فالأول صفته صفة تخصيص سواء كان نكرة أو علمًا ثم اتفق فيه اشتراك، أو مبهمًا، أو معرفًا باللام العهدية . أمَّا الثاني كالعلم الذي لا شركة فيه، والمعرف باللام الجنسية، وما لا ثاني له في الوجود الخارجي؛ كالله سبحانه والشمس والقمر فنحن نمنع وصفه إلَّا لمدح أو ذم أ وتأكيد"
(سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/31) .

وبعد ذلك الشرح يأتي بتنبيه مشيرًا فيه إلى مسألة خلافية تتطرق إليها النحاة ، جوَّز الكوفيون وصف النكرة بالمعرفة إذا كان الكلام مدحًا أو ذمًا ، وعند البصريين محمول على البدلية ، مستشهدًا بقوله تعالى:" ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالاً وعدده" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 33)، يرى أغلب النحويين وبعض الأصوليين أنه لا فرق بين النكرة، والمطلق، واسم الجنس في دلالاتها، فجميعها تعني اللفظ الدال على واحد غير معين إنما هو شائع في جنسه، ولم تكن هناك حاجة إلى معرفة تلك الفروق عند النحاة ؛ لأنه ليس من مقتضيات الصنعة النحوية ، ولا من متطلبات القواعد اللغوية فلم يكونوا بحاجة إلى تلمس تللك الفروق العقلية التي حقق فيها الاصوليون، وذهب ابن جني إلى عدم جواز وصف معرفة بنكرة ولا نكرة بمعرفة ؛ لأن الشيء عنده لا يكون معرَّفًا منكرًا في حال واحد ، وقد وصفه بالمحال ، فالأسماء عنده على ثلاثة أضرب: ضرب يوصف

ولا يؤكَّد، وهو النكرات؛ لأن الوصف يقربه من المعرفة ، وضرب يؤكد ولا يوصف ، وهو المضمر، وضرب يؤكَّد ويوصف ، وهو أسماء الاعلام؛ لأن العلم يوصف بما فيه الألف واللام ، فلا يجوز أن تقول: (مررتُ بزيدٍ عاقلٍ)؛ لأن النكرة لا تكون وصفًا للمعرفة
(شرح اللمع، 2010، صفحة 237 - 239) .

ومقتضى الخلاف في ذلك جعل البصريون النكرة المحضة كالمختصة في جواز وقوعهما بدلاً من المعرفة، و اشترط الكوفيون لذلك أحد الأمرين: أما أن تكون النكرة المبدلة بلفظ المعرفة المبدل منها، وإما أن تكون نكرة مخصوصة بالوصف لا نكرة مطلقة لتحصل الفائدة من الإبدال، فالمعول عليه في إبدال النكرة من المعرفة حصول الفائدة من الإبدال أو انعدامها ، يقال: (رأيت هندًا رجلاً) فيكون إبدال النكرة رجلاً من المعرفة هندًا مفيدًا معنى لم يستفد من المعرفة وهو التنصيص على الجنس لاحتمال أن يكون المرئيّ امرأة لولا الإبدال فتكون الفائدة تحققت من النكرة المطلقة ، وإذا كانت الفائدة ممكنة مع عدم التخصيص لم يصح اشتراطها ، فلما كانت النكرة المختصة مظنة الفائدة، والنكرة المطلقة مظنة الإبهام وعدم الفائدة اشترط التخصيص ، فكان نوع النكرة هو الفيصل في هذه المسألة (النكرة حقيقتها وأقسامها واختلاف أحكامها النحوية ، 2019، صفحة 274 - 275) .

3.الخاتمة:

عمد الجرجانيَّ في شرحه إلى اتباع آليات متنوعة في عرض المادة العلمية، الغرض منها إيضاح القاعدة النحوية للمتعلمين ، وكان هدفه عدم الملل ودفعهم إلى اكتساب تلك المعارف بانسيابية ممتعة ، وشدَّهم بأسلوب شيق متسلسل ، فهو يأتي بالتنبيهات في معرض شرحه للموضوع النحويّ، ولاسيما ما يتعلق منها بالخلافات النحوية بين المدرستين ، مشيرًا عن طريقها إلى أهميتها في تقعيد القاعدة النحوية ، ففي موضوع العطف وهو " اسم يقع بعد حرف من حروف العطف ، أو هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من أحرف العطف، وتكتسب علاقته بالمعطوف عليه معنويًا بالمعنى الذي يكتسبه حرف العطف ، إذ إنَّ لكل منها معانٍ مستقلة في التركيب اللغوي التي ترد فيه" (التراكيب النحوية والتشكيل الدلالي والسيميائي في القص القرآني، 2019، صفحة 544)، تحدَّث عن موضوع امتناع، أو جواز العطف على المضمر المجرور، ناقلاً اجماع البصريين جميعًا على امتناع العطف فيه إلّا بعد إعادة الخافض؛ وذلك لعلتين تتمثل الأولى: بالمشابهة فمثل ما أمتنع عطف المضمر المجرور على الظاهر المجرور من دون إعادة الخافض كقولهم: (مررت بك وبزيد) امتنع العطف بالعكس، الثاني: أن المضمر المجرور يعاقب التنوين، ومثلما لا يعطف على التنوين لا يعطف على معاقبه، وقد جاءت مشابهة المضمر المجرور بالتنوين من ثلاثة أوجه أحدها: على أنه حرف واحد، والتنوين حرف واحد، الثاني: لا يقوم بنفسه وكذلك التنوين لا يقوم بنفسه، الثالث: افتقاره إلى ما يتصل به كافتقار التنوين إلى الاسم ، فكما لا يجوز العطف على التنوين، فكذلك لا يجوز العطف على ما يشبه به، فإذا اتصل الظاهر بحرف الجر لم يكن عطفًا على المضمر، وإنما يكون كأنك عطفت جارًا ومجروًا على جار ومجرور (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 390)،ثم أوضح الجرجانيَّ رأيه في هذه المسألة بقوله:" والأقرب أن نقول: إن الحروف العوامل لضعفها في العمل تحتاج إلى اتصال معمولاتها بها وليس لها قوة تعمل منفصلة إذ هو أقوى مراتب العمل وقد تكفّل به أقوى العوامل وهو الفعل فحينئذ إذا كان المجرور مضمرًا صار الجار والمجرور ككلمة واحدة لفظًا ومعنى فكرهوا العطف إليه كما كرهوا على المتصل المرفوع وليس للمجرور ضمير منفصل ليؤكد به فاضطروا إلى إعادة الخافض" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 46) .

جاء في التنبيه تجويز الكوفيين للعطف من دون إعادة الخافض معتمدين في ذلك على شاهدين الأول قوله تعالى:" واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ" النساء/ 1، جاءت القراءة لهذه الآية بروايتين:

النصب، والجر قال العكبري(616هـ):" يقرأ بالنصب، وفيه وجهان: أحدهما معطوف على اسم الجلالة: أي واتقوا الأرحام التي تقطعوها؛ والثاني هو محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول مررت بزيد وعمرا، والتقدير الذي تعظمونه والأرحام؛ لأن الحلف به تعظيم له. ويقرأ بالجر قيل هو معطوف على المجرور ، وهذا لا يجوز عند البصريين، وإنما جاء بالشعر على قبحه، وأجازه الكوفيون على ضعف؛ وقيل الجر على القسم ، وهو ضعيف أيضًا لأن الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء، ولأن التقدير في القسم: وبرب الأرحام ، هذا قد أغنى عنه ما قبله ، وقد قرئ شاذًا بالرفع وهو مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: والأرحام محترمة أو واجب حرمتها" (التبيان في إعراب القرآن، 2001، صفحة 230)، وقراءة الخفض هي قراءة حمزة، وقتادة، والأعمش قال الفرّاء(207هـ):" حدّثني شريك بن عبد الله عن الأعمش عن إبراهيم أنه خفض الأرحام ، قال: هو كقولهم: بالله والرحم؛ وفيه قبح؛ لأن العرب لا تردّ مخفوضًا على مخفوض وقد كُني عنه، وقد قال الشاعر في جوازه:

نُغَلِّق في مثل السَّوارِي سيوفنا وما بينها والكَعبِ غَوْط نِفانِف

وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه" (معاني القرآن، 2003، صفحة 1/ 185)، وذكر أن ردَّ البصريين على الشاهد الشعري شاذ نادر، ولا يعتد به، وقراءة الخفض قراءة ضعيفة، والقارئ بها كوفيّ ، ثم أضاف الجرجانيَّ رأيًا آخر في رواية الخفض كأن يكون الجار محذوفا ؛ أي به والأرحامِ ، ثم يُقر بقول فصل " ومع هذه الاحتمالات لا يثبت الأصل المتنازع فيه؛ بل الصحيح على حذف المضاف كأنه قال: فاتقوا الله الذي تساءلون به وقطعَ الأرحامِ"،

(سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 48).

ومن إمعانه في تبيين القاعدة وتنقيحها وترسيخها في أكثر من وجه، أفرد عنوانًا جانبيًا أطلق عليه (الخاتمة) وقد تكررت في موضوعات عدة: منها ما جاء في نهاية باب العطف متحدثًا عن عطف الاسم على الفعل وبالعكس، فهو يرى أن العطف بين المفردات يقتضي تشريك المحكوم عليه ،أو تشريك الحكم في المحكوم عليه فعلاً وقوة، فعماد العطف التشريك بين المتعاطفين ، وتأتي الواو على قسمين:" أحدهما أن تجمع الاسمين في عامل واحد ، وتنوب مناب صيغة التثنية، فيكون (قام زيد وعمرو) بمنزلة : قام هذان ، وإذا نفي الفعل قلت: ما قام زيد وعمرو، والثاني: أن تُضمر بعد الواو، فترفع المعطوف بذلك المضمر، أو تنصب، فإذا نفيت على هذا قلت: ما قام زيد ولا عمرو، فالواو عاطفة جملة على جملة" (الجنى الداني في حروف المعاني، 1992، صفحة 161 - 162) ، ومن هذا المنطلق ذكر ابن جني(392هـ) أن الغرض من حروف العطف الاختصار، والإيجاز بحذف العامل الثاني، فأقيمت هذه الحروف مقامه فلا يحسن العطف بها حتى يتفق الحالان والفعلان، ففي جملة قام زيد وعمرو كأنما قال: قام زيد وقام عمرو، فلما طال ذلك عليهم حذفوا أحد العاملين وأقاموا حرف العطف مقامه لاشتراك زيد وعمرو في الفعل والحال، ولو اختلفا لأظهر العامل ولم يجز إضماره ‘ وعند قولنا: قام زيد وقعد عمرو لم يجز أن تخبر عنهما بالقيام (شرح اللمع، 2010، صفحة 271)، وقد أجاز النحويون عطف فعل على فعل إذا اتفقا في الزمان الماضي، أو لاتفاقهما في الزمان المستقبل كقولنا: يقعد زيد ويقوم ، فعطف يقوم على يقعد للاتحاد في الزمن ، أما إذا قلنا :(قام زيد ويقعد)، أو(يقوم زيد وقعد) فلم يجيزه النحويون لاختلاف زمانيهما، (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 386 - 387) ، وهو ما لم يستصوبه الجرجانيّ في كتابه لأسباب عدة: " أما الأول فلأنَّ الفعل ليس يخلو عن فاعل ظاهر أمو مضمر فيكون العطف عطف الجملة على الجملة إلا على رأي الفرَّاء في مثل (ضرب وأكرم زيدُ) على ما تقدم ؛ فإنه لا يلزم فيه ذلك، وعطف الجمل لا يشترط فيه ذلك؛ كقولك:" قام زيد وعمرو ينطلق" بالاتفاق، وأما الثاني فلأنَّ للفعل دلالة على الحدث والزمان فاشتراط

الاتحاد في أحدهما دون الآخر تحكم محض، وأما الثالث فلأنّ التباين الزمني لو كان مانعًا من العطف لما جاز عطف المضارع على المضارع إذا أريد بأحدهما الحال وبالآخر الاستقبال لكنه جائز بالاتفاق، ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى: " إنَّ الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله" الحج/ 25 ولا وجه لتقدير أحد الزمانين بمعنى الآخر، أو تقدير مبتدأ محذوف؛ أي: هم يصدون؛ لتكون الواو للحال إذ لا ضرورة تُلجئ إلى ذلك" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 52 - 53) .

4. تفريع آخر:

جاء هذا النوع من التنبيهات عند الجرجانيَّ في موضوع المنصوبات، أي التي تنصب الفعل بنفسها وهي عنده أربعة: (أن، لن، كي، إذن)، وقد قام بشرحها وفصّل القول فيها، ثم شرع يبّين ما ينصب بإضمار (أن)، وهي ستة أحرف:(حتى، لام كي، لام الجحود، الواو ، الفاء، أو)، إذ إنَّ (حتى) ليست ناصبةً بنفسها وإنمّا بإضمار (أن) ولها أكثر من معنى وهو ما وافق فيه سيبويه (180هـ)، فأورد في كتابه (هذا باب ما يكون العمل فيه من اثنين)، ثم بدأ يفصّل بالحديث عن (حتى)قال:" تقول: سرتُ حتى يدَخلَها زيدٌ و أدخلَها ، وسرتُ حتى أدخلُها ويدخلُها زيدٌ إذا جهلت دخول زيد من سبب سيرك وهو الذي أدَّاه، ولا تجد بُدًا من أن تجعبه ههنا من تلك الحال، لأنَّ رفع الأوّل لا يكون إلَّا وسببُ دخوله سيره" (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 3/ 25 - 26)، أنَّ (حتى) لها معنيان؛ الأول: أن تكون بمعنى (كي) وهو الغالب كقولك: (أسلمتُ حتَّى أدخلَ الجنةَ) بمعنى كي أدخلها، والثاني: أن تكون بمعنى (إلى أن) كقولك: (سرتُ حتى أدخل البلد)، بهذا المنظور حدّد الجرجانيَّ المعاني التي تخرج إليها (حتى) الناصبة ، ثم اشترط لنصب الفعل بعدها أن يكون دالاً على الاستقبال تحقيقًا، أو حكايةً (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 272).

إذ يأتي ما بعدها بدلالات زمنية مختلفة تؤدي إلى تغيير إعرابه، فإذا كان ماضيًا، أو دالاً على الحال فالرفع واجب؛ لأنها تكون سببًا بمنزلة الفاء، والفاء لا تنصب فارتفع نقول: (سرت حتى أدخلُها)، كأنك تريد: دخلتُ لأنّي سرتُ، فأنا داخلٌ لأنّي سرتُ، ولأبدَّ من وجود السبب، وإن كان دالاً على الاستقبال فالنصب واجب، فلا يخلو أن يكون ما قبلها سببًا أو لا يكون، فإن لم يكن ينصب كقولنا:

(سرتُ حتى تطلعَ الشمس)؛ لأنَّ السبب هنا لا يعقل، وجاءت بمعنى الغاية وهو (إلى أنْ)، فيحدد الاستقبال أمّا أن نلحظ السببية وحرف السبب الذي يعطي الاستقبال (كي)، أو لا نلحظه وقصدنا الغاية فقط نصبت على معنى الغاية، وكان المعنى : سرتُ إلى هذه الغاية؛ لأنَّ الذي كان لأجل الدخول هو السير. (شرح جمل الزجاجي، 1989، صفحة 2/ 273).

نبّه الجرجانيّ في معرض حديثه عن (حتى) على وجود مضافٍ محذوفٍ ، وقد سوّغ لهذا الحذف قوة الفعل في الدلالة على الوقت كقوله تعالى: " حتَّى مطلَعِ الفجر" القدر/ 5، أي إلى وقت طلوع الفجر وقد قرأ الكسائي(189هـ) (طلع) بكسر اللام، والآخرون بفتحها على الاختيار بمعنى الطلوع طلع طلوعًا ومطلعًا، والكسر موضع الطلوع " حتى متعلقة بسلام أي الملائكة مسلمة إلى مطلع الفجر، ويجوز أن ترتفع هي بسلام على قول الأخفش وعلى القول الثاني ليلة القدر ذات تسليم، أي ذات سلامة إلى طلوع الفجر، وفيه التقديران الأولان ،ويجوز أن يتعلق حتى يتنزل" (التبيان في إعراب القرآن، 2001، صفحة 785) ،ومثله أيضًا قولهم: (جئتك خُفوق النجم) أي إلى وقت خُفوق النجم،" ولأبدَّ أن يكون الذي بعدها قد مضى السبب أو المسبب وأنت تحكي المسبَّب ، أو يكون قد مضى السبب وأنت تحكي في المسبب ، تقول:(سرتُ حتى أدخلُها)، فالسير سبب للدخول : فإن قلت هذا وقد مضى السرُ والدخول فقد مضى السبب والمسبب وإنما حكيت المسبب " (الفوائد والقواعد، 2003، صفحة 348)، يقول الجرجانيَّ :" أنه إذا فقد الاستقبال وأريد الحال تحقيقًا أو حكاية وجب الرفع وتجب السببية ؛ أي يجب أن يكون ما قبلها سببٌ فيما بعدها ، وتكون (حتى) حرف ابتداء؛ مثال الحال

الحقيقي قولك: سرتُ حتَّى أدخلُ البلدَ وأنت في حال الدخول ، مثال الحكاية قولك: وأنت سرتَ ودخلتَ : سرتُ حتى أدخلُ البلدَ بالرفع إذا قصدت الإخبار عن تلك الحال الواقعة لغرض الحكاية ، وإنما تجب السببية لأنه لما فقد الاتصال اللفظي من حيث جعل حتى حرف ابتداء أرادوا أن يعوضوا عنه بالاتصال المعنوي بقصد السببية"

(سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 273) .

ومن شواهد سيبويه(180هـ) على هذا التوجيه قراءة أهل الحجاز في قوله تعالى: " وزلزلوا حتى يقولُ الرسولُ" البقرة/ 214، برفع (يقولُ) لأنَّ الزلزلة سببٌ، والقول مسببها وقد مضى السبب وحكاية المسبب الساعة "، وقرأ الجمهور : حتى ، والفعل بعدها منصوب إما على الغاية ، وإما على التعليل ، أي : وزلزلوا إلى أن يقول الرسول ، أو : وزلزلوا كي يقول الرسول ، والمعنى الأول أظهر؛ لأن المس والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين ، وقرأ نافع برفع ، يقول : بعد حتى ، وإذا كان المضارع بعد حتى فعل حال فلا يخلو أن يكون حالاً في حين الإخبار ، نحو : مرض حتى لا يرجونه ، وإما أن يكون حالاً قد مضت ، فيحاكيها على ما وقعت ، فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين ، والمراد به هنا المضي ، فيكون حالاً محكية ، إذ المعنى : وزلزلوا فقال الرسول ، وقد وضحّها سيبويه(180هـ) بقوله:" واذا كانت هذه حال الأول لم يكن بدُ للآخر من أن يتبعه ، لأنك تعطفه على دخولك في حتى وذلك أنه يجوز أن تقول: سرتُ حتى يدخلها زيدٌ، إذا كان سيرُك يؤدّى دخوله كما تقول كما تقول: سرتُ حتى يدخلها ثَقَلى، وتقول: سرتُ حتى أدخلها وحتى يدخلها زيدٌ، لأنك لو قلت: سرتُ حتى أدخلها وحتى تطلع الشمسُ كان جيدًا، وصارت إعادتك حتى كإعادتك له ، ومن عمرًا ومن أخو زيد وقد يجوز ان تقول : سرتُ حتى يدخلها إذا كان أداه سيرك" (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 3/ 26) ، ومن المواضع التي حددها الجرجانيَّ في امتناع الرفع ، أولها : إذا كان الفعل منفيًا غير موجب كقولنا: (ما سرتُ حتى أدخل)؛ لأنَّ نفي السير لا يكون سببًا للدخول، وثانيهما: يمتنع الرفع مع الاستفهام (أ سرتُ حتى تدخلها)؛ لأنَّ السير المستفهم عنه المشكوك فيه لا يكون سببًا للدخول المتحقق فيجاب عنه أن يقال: زيدٌ أم عمرو.

أما التفريع الذي زاد فيه الجرجانيَّ شرحًا في باب (حتى) فذكره بعد التنبيه، وصرّح أنه من إسقاطات المصنف، ولم أجد له مشابهًا بما توافر لديّ من آراء نحوية، وأحسبه ممّا تفرد به الجرجانيَّ وهو افتراضه لو سبقت (حتّى) بفعل ناقص مرتبط بظرف زماني فكيف يكون الإعراب؟ وهو أنك إذا قلت: (كان سيري أمس حتّى أدخلُها)، وقد وجّه هذه المسألة على ثلاثة أوجه:

الأول: أن تجعل (كان) تامة بمعنى وقع وحينئذ جاز الرفع لإمكان السببية، وجاز النصب أيضًا إذا أردتَّ الدخول المترقب بالنظر إلى ما قبلها.

الثاني: أن تجعل(كان) ناقصة وتجعل (أمس) متعلقًا بمحذوف؛ أي: كان سيري حاصلاً أمس، وحينئذ يجوز فيه أيضًا الوجهان: الرفع والنصب كما قلناه.

الثالث: أن تجعل (كان) ناقصة وتجعل(أمس) متعلقة بـ (سيري) وحينئذ لا يجوز إلَّا النصب لامتناع جعل (حتى) للابتداء لوقوعها مع مجرورها موقع الخبر عن (كان) والتقدير: كان سيري امس حاصلاً إلى وقت دخولها". (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 274)، هكذا جاء رأيه في بيان إذا سبقت (حتى) بفعل ناقص، وجعله بين أن يكون تامًا أو ناقصًا ، وبما جاء هذا التوجيه عنده لافتراض سائل وخطر في باله هذا السؤال، وعن طريقه شرح كل جزئيات المسألة هدفه من ذلك تعليم الطلبة، فضلاً عن انفراده بالرأي، أو ربما جاء التفريع من باب الاستدراك على المصنف في ربط المسائل بعضها مع بعض.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 134) 2025, pp. 1015-1039

5. التقرير المحاورة:

اعتمد الجرجانيَّ آليات متعددة في شرحه، كان هدفه منها: تنوع الأساليب ، وإبراز الجوانب الدقيقة للمسألة الواحدة، وتسهيل فهمها، وتعزيز مهارات التفكير النحويّ لدى المتعلمين ، وإظهار العمق والتشعب في المسائل النحوية بأسلوب سهل ممتنع ، ومن ذلك أسلوب التقرير والمحاورة فقد استعمله في أكثر من مسألة نحوية ، يدخل مثل هذا الأسلوب في باب التنبيهات أيضًا ويراد بالتقرير هو :" حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده" (الكليات، صفحة 98) ، ومنه الاستفهام التقريري ، وهو نوع من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام يُفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال ، ولا يراد به طلب الفهم إنما يأتي للتأكيد ،وإبراز معنى الإقرار من المستفهم، فالكلام مع التقرير موجب كقوله تعالى:" أ تجعل فيها من يُفسد فيها" البقرة/ 3 ، فالملائكة لم تستفهم ربَها ولكن معناها معنى الإيجاب، أي إنك ستفعل (اللغة في الدرس البلاغي، 2008، صفحة 237 - 238) .

شرع الجرجاني موضحًا ومبينًا أحرف الشرط التي تدخل على جملتين فتجعل مضمون الأولى سببًا لمضمون الثانية على معنى أنه إذا وجد الأول وجد الثاني ، وكثيرًا ما يجتمع الشرط والقسم في الكلام العربي ، إذ يتأتى معنى التأكيد في نسبة الجزاء إلى الشرط في القسم ، ويتأتى تأكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ في (إنَّ) ، فيجتمع جوابان وهما من جهة المعنى واحد يُستغنى بلفظ واحد لاحدهما عن الآخر لفظًا كراهة التكرار يقول في ذلك :" وتقريره: أنَّ الشرط والقسم كلَّ واحد منهما إذا صدَّر به لا يجوز أن يُلغى بحذف الجواب لكون مقتضاه موفَّرًا عليه وهو التصدر ، وأما إذا توسط أو تأخر يجب أن يُلغى بحذف الجواب؛ تقول: (زيدٌ والله قائم)، و(زيدٌ قائمٌ والله)، و(عمرو إن أعطيته شاكرٌ)،و كذا: (عمروٌ إن أعطيته يشكرك) إذا جعلت (يشكرك)خبر المبتدأ، و(عمرو شاكرٌ إن أعطيته)؛ فنقول: أنَّ جوابهما لما كان واحدًا في المعنى أتوا بلفظ واحدٍ لهما كراهة التكرار، والقسم والشرط تنازعا في ذلك الجواب، والقسم أقوى لتوفير مقتضاه بخلاف الشرط"

(سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 474) .

اختلف النحويون في حكم اجتماع الشرط والقسم في جملة واحدة، واتفاقهما على أن جملة القسم كالشرط لأبدَّ لها من جواب تعتمد عليه، ومن الضوابط التي جاءت في هذا الباب أنه: إذا اجتمع الشرط والقسم في جملة واحدة كان الجواب للمتقدم منهما ، ما لم يتقدم عليه ذو خبر، وجواب الآخر محذوف يدل عليه المذكور قال سيبويه(180هـ) (هذا باب الجزاء إذا كان القسم في أوَّله): وذلك قولك: والله أتيتني لا أفعل، ولا يكون إلَّا معتمدةً عليه اليمين، ألا ترى أنك لو قلت: والله إن تأتني لم يجز، ولو قلت: والله من يأتني آته كان محالاً واليمين لا تكون لغوًا ؛ لأنَّ اليمين لآخر الكلام ، وما بينهما لا يمنع الآخر أن يكون على اليمين " (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 3/ 84)، فالجواب الذي يذكر يكون للمتقدم، وإن المتأخر منهما يحذف جوابه ،قال ناظر الجيش(778هـ) في ذلك:" إن كلا من القسم والشرط لأبدَّ له من جواب والشرط لا يصلح جواب قسم والقسم لا يصلح جواب شرط ولأبدَّ من ذكر أحدهما وحذف الآخر فلزم أن يكون المذكور دالاً على المحذوف فلو دلَّ على المتقدم بالمتأخر بان يحذف الأول لدلالة الثاني عليه لكنت قد حذفت شيئًا قبل ذكر ما لا يدل عليه"

(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، 1428هـ، صفحة 6/ 3128).

ويُفهم من ذلك عند اجتماع القسم والشرط مجموعة من الأمور أولها: كلاهما يحتاج إلى جواب ولمّا كانا بمعنى واحد أتوا بلفظ واحد لهما كراهة التكرار، الثاني: ذهب الجرجانيَّ إلى أنَّ جواب القسم أقوى لتوفير مقتضاه بخلاف الشرط، أما الثالث: عند دخول اللام على الفعل وقد تقدم القسم فلأبدَّ أن يكون جواب له؛ لأنه أفاد التوكيد قال ابن هشام(761هـ): " أن يتقدَّم على الشرط قسم نحو :إن جاءني لأكرمنه فان قولك لأكرمنه جواب القسم فهو في نية التقديم إلى جانبه وحذف جواب الشرط لدلالته

عليه ويدلك على أن المذكور جواب القسم توكيد الفعل في نحو المثال ونحو قوله تعالى" ولئن نصروهم ليولن الأدبار" ورفعه في قوله تعالى " ثم لا ينصرون" (شرح شذور الذهب، صفحة 453) ، الرابع: أن تقدمهما ذو خبر جاز جعل الجواب لأي منهما قال سيبويه: " ونقول: أنا والله إن تأتني لا آتك؛ لأنَّ هذا الكلام مبني على أنا ألا ترى أنه حسنٌ أن تقول: أنا والله إن تأتني آتك فالقسم هاهنا لغوٌ فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلَّا أن يكون عليه ، ألا ترى أنك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك، لأنها لام قسم ولا يحسن في الكلام لئن تأتني لا أفعل؛ لأنَّ الآخر لا يكون جزمًا " (كتاب سيبويه، 1988، صفحة 3/ 84)، فالمتقدم منهما يكون الكلام مبنيًا عليه كقولنا: (والله إن زرتني لأكرمنك)، فالكلام مبني على القسم وكان الشرط مقيدًا له ، والعكس صحيح إذا تقدَّم الشرط كان القسم معترضًا له،

وقد تحفظ د. فاضل السامرائي على مصطلح (الاعتراض أو معترض) في الشرط، أو غير موفق أحيانًا أخرى إذ ذكر قول ابن الشجري في الأمالي(254هـ) " والله إنْ قمت لأقومن، لأقومن جواب القسم والشرط معترض.. وإنْ تقدَّم الشرط كان القسم معترضًا، والجواب للشرط، مثل: أنْ قمت والله قمت"؛ " لأنه يفهم أن أهميته ثانوية في الكلام في حين أنه قد يكون الكلام قسمًا على الشرط، وذلك نحو قوله تعالى:" ولئن اتبعتَ أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين"، البقرة/ 145، فإنه ليس من السداد أن تقول إن أصل الكلام: والله إنك لمن الظالمين ثم اعترض بالشرط، كيف وقد أقسم الله على الشرط؟ " (معاني النحو، 2007، صفحة 4/ 101 - 102) ، أما الخامس: فيتعلق بفعل الشرط عندما يُستغنى عن جواب الشرط لا يكون فعله إلَّا ماضيًا لفظًا، أو مضارعًا مجزومًا بـ (لم) ، كقوله تعالى :" لئن لم تنته لأرجمنك: مريم / 46، قال الجرجانيَّ معللاً ذلك بقوله:" التزام كون الشرط ماضيًا فلأنه لمَّا أُلغي عمل حرف الشرط في الجواب بجعله للقسم أحبَّوا أن يكون الشرط ماضيًا؛ ليطابق الجواب في عدم العمل" (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 475)، فضلاً عن ذلك إذا تأخر القسم وقرن بالفاء وجب جعل الجواب له. (اجتماع الشرط والقسم مع تقدم القسم في الجملة العربية عند ابن هشام، ع/ 8 ، 2015، صفحة 189 - 190).

ثم انتقل الجرجانيَّ إلى أسلوب المحاورة في هذه المسألة ، والحوار نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بطريقة يستأثر به أحدهما على الآخر، ومما يملكه المحاور الناجح أن يمتلك فنيات الحوار التي تتأتى من اتحاد مجموعة من المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة، والتي بدورها تنقسم على قسمين: أنشطة في مرحلة الإعداد للحوار، وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار (الحوار في القرآن الكريم، 2005، صفحة 13)، وعماد التفاعل التواصلي يرتكز على مفهومين: مفهوم التفاعل القائم على الحوار أي المشاركة بين الفعل وردَّ الفعل حول مضامين معينة، ومفهوم التواصل الذي يُعنى بالحالة التي يصير إليها الحوار بين الطرفين، فضلاً عن التعدد السياقي " الذي يؤطر الحوار دائمًا يرتبط بمفهوم تداولي آخر هو الملائمة التي تعتمد على مبدأ التعاون والتي تعتبر عقدًا تواصليًا بين أطراف العملية الحوارية يفرض علينا الأخذ بالسياق كمعطى تداولي يقوم بعملية الانصهار الحواري التي يتم فيها إسناد الدور التلفظي كممثل للخطاب والملاءمة بذلك تهدف لتأطير الكفاية المعروفة للمتواصلين حتى تسير وفق ما يقتضيه المقام" (النص والخطاب والاتصال، 2014، صفحة 7) ، وثمة فرق بين مصطلحي الجدل، والحوار، إذ يرمي الجدل إلى الكلام العقيم بين المتحاورين، وقد يتضمن معنى الصراع الذي يقترب إلى الترف الذهني بما يثيره من قضايا جانبية، أو مناقشات لفظية فتضع الفكرة في متاهات لا يُعرف منتهها، أما الحوار فهو أوسع مدلولاً من الجدل ؛ لأنه يتسع له ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب (الحوار في القرآن الكريم، 2005، صفحة 8 ـ 9) ، ويُعدُّ الحجاج محلاً مهمًا للتفاعل الحواري ؛ لأنه يهدف للتأثير على المعتقدات والسلوكيات.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 134) 2025, pp. 1015-1039

قال الجرجانيَّ في هذه المسألة:" إن قلت توسَّط الشرط لأجل اعتبار القسم فلو توقف اعتبار القسم على توسط الشرط لزم الدور. قلت: لا يعلل اعتبار القسم بتوسط الشرط؛ بل نقول: القسم لكونه مصدَّرا يقتضي الجواب البتة، وليس في اللفظ ما يصلح جوابًا سوى ذلك فتعيَّن. إن قلت لم لا يجوز أن تجعل الجواب جوابًا للشرط وتجعل الشرط مع جوابه جوابًا للقسم كما إذا تقدَّم الشرط؟ قلت: لأنّض الشرط محتمل غير متيقن وجواب القسم لأبدَّ أن يكون متيقنًا فالجمع بينهما جمع بين النقيضين (سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية، 2023، صفحة 2/ 475)، الشرط في الاصطلاح عند الفاكهي (299هـ)هو:" تعليق حصول مضمون جملة هي جواب الشرط بحصول مضمون جملة أخرى هي جملة الشرط " (شرح الحدود في النحو، 1993، صفحة 275) ، وفي الكثير الغالب يأتي الشرط بصيغه وأدواته سواء أ كان في المنظور النحوي أم الاستعمال الكلامي دالاً على الجحود، والإنكار، والشك من دون وجود دلالة يقينية في حدوثه، ولكن اختيار المتكلم للفظ الصحيح بما يتطلبه السياق والموقف ممكن أن يغير من ذلك ، مما يدل على أن الألفاظ تابعة للمعاني ، فعندما يجتمع المكون الدلالي مع المكون التركيبي يحققان النظم كوظيفة للأداء اللغوي في التركيب (التركيب الشرطي المعرب عن الأمر بين النحو والدلالة والتداولية، 2023، صفحة 5) ، أما القسم يأتي لتوكيد جملة خبرية غير تعجبية يحمل معنى الإقناع، وإقامة الحجة والدليل على المتلقين في كل زمان ومكان فيصبح الأمر أكثر تأكيدًا ، وسمي الحلف يمينًا؛ لأنَّ العرب كان أحدهم يأخذ يمين صاحبه عند التحالف (بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، 2010، صفحة 50) ، ولهذا السبب ذكر الجرجانيَّ في ردَّه على السائل (الجمع بينهما جمع بين متناقضين)؛ لاختلاف المعاني التي يدل عليها كلا من القسم والشرط عندما يجتمعان في جملة واحدة ، فجواب القسم يدل على اليقين وهو متحقق الوقوع لارتباطه الشرعي، ووجوب كفارة عند الحنث به ، فأرتبط المعنى النحوي بالمعنى الشرعي في هذا الباب .

يُراد بالافتراض عند النحاة:" تصور ذهني تقريري اجتهادي لتقرير القواعد وتحصينها وتعليل أحكامها والتمثيل لها أو عليها" (صيغ المعمولات بين الافتراض النحوي والواقع اللغوي ، 2020، صفحة 1157)، فالسؤال الافتراضي يعتمد بالدرجة الأولى على رأي، أو اعتقاد شخصي ولا يُبنى على حقائق ثابتة، فكل خطاب من ورائه هدف ما ،ويعدُّ القوة الدافعة التي تقف خلف التواصل الإنساني، وله سلطة تؤثر في إنتاج الملفوظات كما يؤثر كذلك في عملية تأويلها ، وتساعد الأهداف في تحديد علاقة الأفعال بالملفوظ ، والهدف واحد من مجموعة عناصر للسياق التي تسبق إنتاج الخطاب ، وله أهمية كبيرة في التأثير على المرسل مما يحقق لديه اختيار استراتيجيات خطابية من جهة استعمال الأدوات، والآليات اللغوية المناسبة التي تضمن تحقيقه ، وينقسم الهدف على مستويين يتمثل الأول : بالمستوى النفعي الذي يقع خارج الخطاب وهو الغاية الفعلية التي يريد المرسل ان يحققها كالأهداف التعليمية التي تساعدهم في تنمية قدراتهم ، أما المستوى الكلي فهو ينسجم مع الفعل اللغوي الذي يمارسه المرسل في أثناء عملية التلفظ بالخطاب.

(استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، 2004، صفحة 149 - 150).

تمثل الافتراض عند الجرجانيَّ أو ما يسمى السؤال الافتراضي في هذه المسألة إذ افترض وجود مخاطبًا يجري معه حوارًا علميًا وهو ليس حاضرًا حضورًا عينيًا بل ذهنيًا ، للغوص في تفصيلات المسألة التي يريد الخوض فيها؛ هدفه من ذلك هدفًا تعليميًا كما أشرنا قبل قليل فهو يساعد الطلبة على تنمية قدراتهم النحوية ، فضلاً عن الإجابة من قبله عن كل ما يجول في ذهن المتعلم لغرض تحقيق الإفهام منها ، وهذا الأسلوب من التعليم ليس بجديد في الدرس النحويَّ، إذ استعمله النحاة قبل

الجرجانيَّ بل كان واضحًا وجليًا عند سيبويه إمام النحاة ، استعمل هكذا نوع من الأسئلة في أثناء تحليله لتراكيب الجمل ليحقق به غرضين هما:"

1) الإقناع: حيث يتخذ سيبويه من الوسائل ما يحاول بها إقناع مخاطبه بفكره فيخاطبه ويحاوره حوارًا فعليًا فان لم يكن حاضرًا حضورًا فعليًا فانه يستحضره ذهنيًا ويجري على لسانه أسئلة ويحلل المسألة اللغوية تحليلاً من خلال السؤال والجواب وهذا ادعى لإقناعه وإقامة الحجة عليه فعلاقة الحوار بالإقناع علاقة غاية ووسيلة فالإقناع غاية والحوار وسيلة لغوية للوصول إليه.

2) التنبيه: عمد سيبويه إلى استخدام السؤال الافتراضي لتنبيه المخاطب إلى أمر ما قد يكون هذا الأمر رفع لبس عنه أو دفع غفلة أو اشعار بأهمية المسألة أو أنها تحتمل أكثر من وجه وتنبيه المخاطب يؤدي إلى ما يسمى الكفاية الاتصالية" (أثر السؤال الافتراضي في بناء التركيب والتوجيه النحوي عند سيبويه ، 2018، صفحة 301) .

ويندرج السؤال والجواب، أو السؤال الافتراضي ضمن موضوع التنبيهات لما له من أهمية في العملية التعليمية منها: ايقاظ غفلته، وشحذ همته، وتوقد ذهنه لفهم المسائل المطروحة أمامه، وإن كان الحوار ذهنيًا متخيلاً، وقد يكون الجرجانيّ المتكلم والمخاطب في آن واحد للبحث عن جذور المسألة بغية الوصول إلى منتهاها.

وهو نوع من الحجاج أيضًا فكل سؤال وجواب ليس من الضروري أن يكون منطوقًا به بل سؤالاً مفترضًا بالموافقة مرة، أو بالاعتراض مرة أخرى فكل اعتراض أو سؤال حجج تناسبه من دون غيره وبتغير السؤال تتغير الحجج ، ويعدُّ الاستفهام من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجًا وهو بدوره يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، ويمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، 2004، صفحة 482)، وقد جاء هذا الحوار عند الجرجانيَّ بعد تقريره الذي ذكره في اجتماع الشرط والقسم ؛ وذلك لغرض إقناع المخاطب، وإسناد كلامه بالأدلة الدامغة التي لا حجة له في إنكارها .

النتائج:

1) تسمى الوظيفة الانتباهية وظيفة إقامة الاتصال، فالمرسل غالبًا ما يسعى إلى إثارة انتباه المرسل إليه، مع بقاء الاتصال قائمًا معه لاجتذاب ذهن المتعلم، ويُراعي المحافظة عليه عن طريق استعمال مفردات، وربما تراكيب متنوعة، ومختلفة توقظ في نفسه الغفلة، وفي عقله الفطنة.

2) تختلف دلالة التنبيه في منظورها عند النحويين الأوائل إذ أرادوا منها الدربة والمرّان على المسائل النحوية، أما عند المتأخرين منهم فتذهب إلى معنى الاستدراك على المصنف، أو تعدُّ إضاءات على القواعد النحوية التي استقرت في الدرس النحويَّ.

3) اتخذ التنبيه عند الجرجانيّ ملمحًا تعليميًا لشرح القاعدة النحوية زاد فيها إضافات تفصيلية للمسألة الواحدة التي ذكرها ابن الحاجب.

4) جاءت التنبيهات عند الجرجانيّ متعددة ومتنوعة فسلك مسلكًا جديدًا في تنبهاته اعتمد فيه على مجموعة من المصطلحات المختلفة فتنوعت أساليبه فيها، هادفًا من ذلك إلى جذب انتباه المتعلم، وإعمال عقله، وشحذ همته.

5) من الأساليب المعتمدة عند الجرجانيّ أسلوب الحوار الذي جاء في شرحه للمسائل النحوية؛ وذلك عن طريق استحضار شخصية يحاورها وهي تتذبذب بين الحقيقة والخيال، فربما تكون هذه الشخصية حقيقة لطالب يسأله في حلقة الدرس وهو يجيب بدوره عن ذلك السؤال، أو أن تكون شخصية خيالية

في ذهنه يقوم باستحضارها عند تحقيقه لمسألة ما، أو ربما يكون هو ذلك الشخص أي أنه يحاور نفسه، كل ذلك يدخل في العملية التعليمية التي تدعو إلى إعمال العقل في مناقشة تلك المسائل.

6) اعتمد الجرجاني آلية السؤال الافتراضي عند شرحه للمسألة النحوية الغرض منه إيقاظ الطالب من غفلته، وجذب انتباهه وهو أسلوب تعليمي ما زال معتمدًا إلى يومنا هذا.

7) تميز الفكر النحويّ العربيّ بتنوع الأساليب المهاراتية عند عرضهم للمادة العلمية يرجع ذلك إلى ادراكهم العميق بفنون الكلام الذي يؤدي إلى ربط الألفاظ بالمعاني، وحبك النصَّ، والابتعاد عن التعقيدات اللفظية، والتأويلات الفلسفية والمنطقية وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى استمالة الطالب، وجذبه لتلقي العلوم المعرفية بطرق سهلة منمقة جذابة، وهو من أساسيات التيسير والتجديد النحويّ.

8) ربط الجرجانيّ في شرحه بين المعاني والمباني ولاسيما في تنبهاته، إذ أبان عن ملفوظها وكشف عن معانيها بأسلوب سهل ميسر بعيد عن التعقيد والتأويل.

الموارد:

ابن بزيزة المالكي. (2023). *غاية الأمل في شرح الجمل*. (محمد غالب وراق، المحرر) الكويت: دار لطائف للنشر والتوزيع.

ابن عقيل. (د.ت). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المحرر) القاهرة: دار الطلائع.

أبو البقاء عبد الله العكبري. (2001). *التبيان في إعراب القرآن*. (سعد كريم الفقي، المحرر) مصر: دار اليقين للنشر والتوزيع.

أبو الفتح عثمان بن جني. (1952). *الخصائص*. مصر: المكتبة العلمية.

أبو الفتح عثمان بن جني. (2010). *شرح اللمع*. (محمود بن محمد الموصلي، المحرر) الامارات المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمعالثقافي).

أبو بركات كمال الدين الأنباري. (2003). *الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*. المكتبة العصرية.

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. (1997). *المستصفى من علم الاصول*. (د. محمد سليمان الأشقر، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو زكريا يحيي بن زياد الفراء. (2003). *معاني القرآن*. (فاتن محمد خليل اللّبون، المحرر) لبنان: دار احياء التراث العربي.

أبو فتح عثمان بن جنّي. (2009). *التنبيه على شرح مشكلات الحماسة*. (د.حسن محمود هنداوي، المحرر) الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

أحمد قاسم الزاملي. (2014). *الخلاف النحوي في كتاب المحصول في شرح الفصول (ابن إياز البغدادي 681هـ)*. العراق: كلية الآداب ، جامعة القادسية.

الحسن بن قاسم المرادي. (1992). *الجنى الداني في حروف المعاني*. (فخر الدين قباوة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

الحسن بن قاسم المرادي. (1992). *الجنى الداني في حروف المعاني*. (فخر الدين قباوة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

السيد محسن الأمين. (1983). *أعيان الشيعة*. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

الشيخ الطهراني. (2009هـ). *طبقات أعلام الشيعة (القرن الثامن)*. بيروت: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر.

أميمة بدر الدين. (2010). بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف. *مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، ع/ 3-4.*
آية محمود ذياب الخليفاوي. (2025). *التنبيهات النحوية في كتاب سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية لمحمد بن على الجرجاني(كان حيًا 730هـ).* الأنبار: جامعة الأنبار ، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية.
إيهاب همّام الشّيوي. (2023). *من العوارض الموقعية في الفصائل النحوية دراسة تحليلية.* مصر: مجلة كلية الآداب ـ جامعة المنصورة.
أيوب بن موسى الكفوي. (بلا تاريخ). *الكليات.* (عدنان درويش، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.
تمام حسان. (2004). *اللغة العربية معناها ومبناها.* القاهرة: عالم الكتب.
حاتم عبد الخالق البهنسي. (2023). التركيب الشرطي المعرب عن الأمر بين النحو والدلالة والتداولية. *المجلة العلمية ، كلية الآداب، ع/ 50.*
حاجي خليفة. (1362هـ). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.* (محمد شرف الدين، المحرر) اسطنبول: طبع بعناية وكالة المعارف.
حسن خميس الملخ. (2002). *التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء ـ التحليل ـ التفسير.* الأردن: دار الشروق.
خلود صالح الصالح. (2016). *رؤية توظيفية دلالية نحو تأسيس منهجيات حديثة في النحو التعليمي.* المملكة العربية السعودية: مجلة جامعة الملك عبد العزيز.
د. أيمن محمود محمد ابراهيم. (2018). أثر السؤال الافتراضي في بناء التركيب والتوجيه النحوي عند سيبويه . *مجلة جامعة الباحةللعلوم الإنسانية، ع/ 16.*
د. جابر علي السيد سليم. (2012). من مظاهر التنبيه في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية. *حولية كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، 5*(16).
د. رياض عبود الحسني. (العدد 63/ 2013). ظاهرة الاتساع في الدرس النحو قراءة في فكر أبي علي الفارسي (ت/ 337هـ). *مجلة كلية الآداب / الجامعة المستنصرية.*
د. سامي عوض. (م/ 24، ع/17، 2002). مفهوم الرتبة النحوية. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد 24، العدد 17.*
د. عبد الله سلمان محمدين. (ع/ 8 ، 2015). اجتماع الشرط والقسم مع تقدم القسم في الجملة العربية عند ابن هشام. *مجلة معالم الدعوة الإسلامية.*
د. عدنان عبد الكريم جمعة. (2008). *اللغة في الدرس البلاغي.* لندن: دار السياب للطباعة والنشر.
د. علي مزهر الياسري. (2003). *الفكر النحوي عند العرب.* بيروت: الدار العربية للموسوعات.
د. فاضل السامرائي. (2007). *معاني النحو.* مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر.
د. محمد العبد. (2014). *النص والخطاب والاتصال.* القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب العربي.
د. محمود أحمد نحله. (1988). *مدخل إلى دراسة الجملة العربية .* بيروت: دار النهضة العربية.
د. نزيه علي حمدان. (2019). *التراكيب النحوية والتشكيل الدلالي والسيميائي في القص القرآني.* لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
د. هاشم طه شلاش. (2013). *المهذب في علم التصريف.* بيروت: مطابع بيروت الحديثة.
د.حسن بن غرم العمري . (2019). النكرة حقيقتها وأقسامها واختلاف أحكامها النحوية . *مجلة علوم اللغات وآدابها ، العدد 24.*

رحاب عوض السيد عبد الله. (2017). *تنبيهات الأشموني النحوية أصولها وموقعها في الفكر النحوي دراسة احصائية وصفية*. السودان: اطروحة دكتوراه ،كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية .
زروقي جمعة. (2018). *أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري*. الجزائر: كلية الآداب واللغات / جامعة قاصدي مرباح.
سفيان جحافي. (2010). *قواعد الرتبة في اللسان العربيفي ضوء النظرية التوليدية التحويلية*. الجزائر: كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران.
عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني. (1992). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: مطبعة المدني.
عبد الله بن أحمد الفاكهي. (1993). *شرح الحدود في النحو*. (د. المتولي رمضان الدميري، المحرر) القاهرة: مكتبة وهبة.
عبد الله بن صالح العبيد. (2007). *الدلالات عند الاصوليين دراسة مقارنة*. بيروت: شركة البشائر الاسلامية للطباعة والنشر.
عبد الله بن يوسف ابن هشام. (بلا تاريخ). *شرح شذور الذهب*. (عبد الغني الدقر، المحرر) سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع.
عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
عبير محمود شريف. (2002). *دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي (ابن الناظم، والمرادي، ابن هشام، وابن عقيل) نموذجًا*. الأردن: رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت .
علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي، و (669هـ). (1989). *شرح جمل الزجاجي*. (فواز الشعّار، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
عمار بو حوش. (2019). *منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية*. ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي.
عمرو بن ثابت الثمانيني. (2003). *الفوائد والقواعد*. (عبد الوهابمحمود تحقيق: الكحلة، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.
عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. (1988). *كتاب سيبويه*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
محمد بن علي الجرجاني. (1997). *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*. (د. عبد القادر حسين، المحرر) القاهرة: مكتبة الآداب.
محمد بن علي الجرجاني. (2023). *سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية*. القاهرة: المكتبة الخيرية للطباعة والنشر.
محمد بن علي الجرجاني. (2024). *المباحث العربية في شرح الكافية الحجابية*. (مصطفى محمود أبو السعود، المحرر) مصر: المكتبة الخيرية.
محمد بن يوسف ناظر الجيش. (1428هـ). *تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد*. (د. علي محمد فاخر، المحرر) مصر: دار السلام للطباعة والنشر.
محمد محمود صبري الجُبةَّ. (2020). صيغ المعمولات بين الافتراض النحوي والواقع اللغوي . *مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، م/8، ع/ 36*.
محمد محمود عيسى محاسنة. (2015). *وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب*. الأردن: اطروحة دكتوراه/ جامعة اليرموك.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 134) 2025, pp. 1015-1039

مريم النعيم سليمان أحمد. (2007). *التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني دراسة احصائية وصفية تحليلية*. السودان: جامعة أم الدرمان الإسلامية.
مسلم سومية. (2012). *الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية* . الجزائر: رسالة ماجستير / كلية الآداب / جامعة وهران .
معن محمود عثمان ضمرة. (2005). *الحوار في القرآن الكريم*. فلسطين: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية.
يوسف كريم عبدون. (2020). التنبيهات النحوية وتطبيقاتها عند الشربيني (977هـ) في كتابه فتح الخالق المالكفي حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك. *مجلة ديالى ، ع/84*.

Methodological Approaches in Grammatical Analysis in the Works of Rukn al-Dīn al-Jurjānīy (d. 730 AH): Tanbīhāt as a Model

Ph. D. Asmaa Abul Baqi Mohammed Almosilly
College of arts – Arabic department Al-Mustansiriyah University

asmaa1977@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:
Arabic grammar serves as a tool for the correction of speech, the identification of word relationships, the development of innate linguistic competence, and as a monitor over what the speaker articulates or the writer records. Scholars exerted great effort in constructing and formulating it until it reached us as a stable, well-established science—distinguished by precision in textual analysis and the derivation of grammatical rulings, following a balanced path between structures and meanings. Grammatical authorship subsequently became active and took on diverse directions, aiming to teach this discipline to students and young learners. Scholars relied on a range of methods, especially in their commentaries, with the goal of achieving comprehension and clarity. This grammatical scholarship came to be characterized by methodological approaches, among which was the use of grammatical tanbīhāt, widely present in their works as a means to draw the learner's attention. These tanbīhāt sometimes appeared as corrections or illuminative remarks during the explanation of grammatical issues. This practice began early in the tradition, gained momentum, and flourished with later grammarians such as al-Jurjānīy.
Keywords: Grammatical Thought, Tanbīhāt, Grammatical Analysis, al-Jurjānīy, Ibn Alhajib.